شرح

الفتوى الحموية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

شرح الدكتور:

د. محمد بن عبد الله العتيبي





تفريغ شرح

الفتوى الحموية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

شرح الدكتور:

د. محمد بن عبد الله العتيبي



منصة معتقد
للتأهيل العقدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الـدَرسُ الأوَّل

❖ مُقدِّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، حيّاكم الله في هذا اللقاء الجديد الذي نتدارس فيه في بإذن الله عز وجل رسالة جديدة ألا وهي: **"الفَتوى الحَموية الكُبرى"**.

بعد أن انتهينا ولله الحمد من مدارسة العقيدة الطحاوية وقبل ذلك الواسطية ولمعة الاعتقاد وغيرها، وذلك كله بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ناسب مناسبةً كبيرة أن نتدارس هذه الرسالة المفيدة وهي من تصنيف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرَّاني -رحمه الله تعالى- شيخ الإسلام المعروف "أحمد ابن عبد الحليم".

شيخ الإسلام -رحمه الله- له رسائل كثيرة لا سيما في الاعتقاد حتى أنه -رحمه الله- ما يُذكر إلا تذكر العقيدة ولا تذكر العقيدة إلا يُذكر ابن تيمية، بذل نفسه -رحمه الله تعالى- في بيان العقيدة الصحيحة والدفاع عنها، وكان يقصده الناس في عصره من أهل السنة ممن هم على طريقة السلف في الاعتقاد يقصدونه في السؤال وفي الانتفاع بعلمه.

وهذه الرسالة سُميت "الفتوى الحموية"، وسبب تسميتها وسبب تصنيفها كما بيّن الشيخ في مواطن من كتبه منها "بيان تلبيس الجهمية"، ذكر سبب تصنيفه وأيضا ذكَرها في رسالة له اسمها "مناظرة الحموية" لأنه رحمه الله امتُحن لما كتب هذه العقيدة وهذه الفتوى، فبيّن سبب تصنيفه لهذه الرسالة، أنه جاءه سؤال من حماة، وهذه مدينة وبلدة معروفة من بلاد الشام وهي تقع اليوم في حدود سوريا، جاءه سؤال يسأله عن توحيد الأسماء والصفات وعن نصوص الصفات وعن صفة العلو على وجه الخصوص، كما سنقرأ إن شاء الله صيغة هذا السؤال وصيغة هذه الفتوى، ولذلك سُميت فتوى، سميت فتوى لأن الفتوى: تكون جوابًا لسؤال.

وهذه الرسالة في الحقيقة لها أسماء كثيرة:

- سُميت "الحموية" نسبة إلى السؤال الذي ورد من حماة.
- وسميت "الفتوى الحموية".
- وسميت "الفتوى الحموية الكبرى"
- وسميت "المسألة الحموية"...

كل هذه أسماء وردت في تراجم الشيخ -رحمه الله- وفي كلام تلاميذه مثل ابن عبد الهادي وابن القيم وغيرهم -رحمهم الله- الذين ذكروا هذه الرسالة.

المقصود أن سبب تصنيف هذه الرسالة هو سؤال وَرده -رحمه الله-، وكتب هذه الرسالة بين الظهر والعصر لأنه تميّز بسرعة الاستحضار والبديهة وأيضا سرعة الكتابة، فقلمه سيّال وذهنه حاضر -رحمه الله-، فكتب رسالة في هذه الساعة بين الظهر والعصر واليوم يقرأها الناس ويدرسونها ربما سنوات، ومع أنها جمعت نُقولاً كثيرة ونصوصاً كثيرة، وهذا دليل على توفيق الله عز وجل لهذا العالم، فهذا هو سبب تصنيفه.

وقد صنفها -رحمه الله- وهو في مقتبل عمره، تقريبا كان سِنُّه 37 أو 38، وهو ربما بدأ بالتصنيف وسِنُّه 18 سنة رحمه الله.

فهذه هي أسماء الحموية وهذا هو سبب تصنيفها، ولذلك نجد أنها طُبعت تارة ب"الفتوى الحموية" وتارة "الحموية" وتارة "الحموية الكبرى" وتارة "المسألة الحموية".

وبالنسبة لمن سماها "الفتوى الحموية الكبرى" هذا الاسم ورد عن من ذكر كُتب الشيخ وأيضا ورد في النسخ الخطية بالمخطوطات، وهنا بحثٌ ذكره من بحث في الحموية هل الحموية الكبرى تُقابلها حموية صغرى؟ هذا محلّ بحثٍ:

- فمنهم من قال: نعم هناك حموية صغرى لكنها مفقودة.
- وهناك من قال: أن الشيخ أول ما كتب الحموية كتبها مختصرة ثم بعد انتشارها زاد عليها، والله أعلم.

لكن الذي بين أيدي الناس هو "الفتوى الحموية الكبرى" لا يوجد غيرها في الحقيقة، أهل العلم اعتنوا بهذه الفتوى وطارت بها الركبان لذلك النسخ الخطية لهذه الفتوى كثيرة، وتجدون ممن اعتنى بتحقيق هذه الفتوى الحموية في حواشي التحقيقات فروقٌ كثيرة بين النُسخ، وذلك لأن نسخ هذه الفتوى كثيرة جدا طارت بها الركبان حتى أصبح لها صدى كبير في زمن الشيخ.

حتى أن هناك من رد على الشيخ وألبوا عليه السلطان وناظروه حتى أنه امتُحن وفُتن وسُجن بسبب هذه الفتوى، لأن خصومه كثير من الطوائف التي خالفت السلف في باب الأسماء والصفات، وكان الشيخ يعيش في مجتمع وبيئة كما هو معلوم قد كثرت فيها المذاهب الضالة كالمعطلة والمشبهة

والمتصوفة والفلاسفة وأهل الإتحاد ووحدة الوجود وغيرهم من المشركين والضالين والمنحرفين، والشيخ -رحمه الله- انتصر لعقيدة السلف فما استطاعوا أن يردوا على الشيخ ردا علميا وهذا دأبُهم، بعد ذلك ألبوا عليه ولاة الأمور حتى سُجن -رحمه الله تعالى-، وقد سجن كثيرا، كما أنهم ناظروه في "الواسطية" كذلك، ناظروه في "الفتوى الحموية" وما استطاعوا أن يردوا على الشيخ أو أن يجدوا ردا علميا صحيحا على ما قرره الشيخ -رحمه الله تعالى- في هذه الفتوى.

إذن موضوع "الفتوى الحموية" هو توحيد الأسماء والصفات على وجه العموم، وبعض المسائل على وجه الخصوص وهي مسألة العلو والاستواء ومسألة الصفات الخبرية هذه بيّنها الشيخ بيانا خاصا كما سنأتي عليه إن شاء الله عز وجل.

الشيخ كتب هذه الفتوى وما قصد الشبهات من حيث ذِكرها والرد عليه وإنما قصد بيان حقيقة مذهب السلف وما يخالفه من مذاهب في هذا الباب، وبيان أيضا تفاوُت الناس في موقفهم من نصوص الأسماء والصفات لأن السلف كما هو معلوم وسطٌ في هذا الباب بين: المُعطلة والمُشبهة، فبيّن حقيقة مذهبهم وأنهم ليسوا من أهل التعطيل وليسوا من التمثيل والتشبيه.

وأيضا بيّن -رحمه الله- مذاهب الناس ومناهج الناس من حيث الموقف من نصوص الصفات، فبيّن أن: هناك من هو على مذهب التأويل، وهناك من هو على مذهب التفويض. وأن مذهب السلف ليس هو مذهب التأويل وليس هو مذهب التفويض، بل هو مذهب واضحٌ مُحكم كما بيّن وكما سنقرأ بإذن الله تبارك وتعالى.

إذن هذه الرسالة في بيان منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، وأن مذهبهم ليس كمذهب المخالفين.

قبل أن نبدأ في قراءة هذه الفتوى لا بد أن نبين أو أن نأتي على نبذة من بيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب توحيد الأسماء والصفات فنقول:

❖ منهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات:

أولا: من هم أهل السنة والجماعة؟ أو ما المقصود بهذا المصطلح أهل السنة والجماعة؟

لعلكم لاحظتم أن هذا المصطلح مصطلح إضافي: مضاف ومضاف إليه، **أهل السنة والجماعة**:

- وكلمة **(الأهل)** في اللغة العربية: تفيد الاختصاص، فإذا قيل (أهل الرجل) يعني خاصّته وأقاربه الخاصّين به وأهله الخاصين به والمختصين به، فكذلك أهل السنة والجماعة، سُمُّوا ولُقبوا بهذا

اللقب (أهل السنة والجماعة) لاختصاصهم بالسُنّة ولاختصاصهم بالجماعة، فلأنهم لزموا السنة ولزموا الجماعة سُموا أهل السنة والجماعة.

- **(السُنّة)**: طريقة النبي ﷺ.
- **(الجماعة)**: الاجتماع على هذه السنة، والاجتماع على ولي الأمر، لما كان أهل السنة ملازمين لسنة النبي ﷺ ممتثلين أمره في قوله: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ**»، لما تمسكوا بها ولزموها اختصوا بهذا اللقب وبهذا الاسم فقيل لهم أهل السنة وكذلك الجماعة.

وكما بيّن هو رحمه الله بن تيمية في كتاب "الاستقامة" بيّن أن من صفات أهل السنة: الاجتماع. ومن صفات أهل البدعة: الافتراق، فقال: (السُنة مقرونة بالجماعة والبدعة مقرونة بالفُرقة، فيُقال: أهل السُنة والجماعة وأهل البدعة والفُرقة).

ولذلك النبي ﷺ لما ذكر حديث الافتراق وقال: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**». فهذا اللقب وهذا الوصف من خصائص أهل السنة -رحمهم الله تعالى-.

توحيد الأسماء والصفات:

قام معتقد أهل السنة في هذا الباب على أساسٍ قوي متين من خلال أسس ثلاثة، هي قواعد محكمة واضحة بينة دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليها سلف الأمة، بينها أهل العلم فهذه الأسس الثلاثة كالتالي:

- **الأساس الأول:** إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، فهذا هو الأساس الأول وهذه القاعدة نسميها: "قاعدة الإثبات" لأن هذا الباب باب الصفات وباب توحيد الأسماء والصفات مبني على إثباتٍ وتنزيه، إثباتٍ ونفي، فهذه القاعدة الأولى إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

لماذا نثبت ما أثبته الله لنفسه؟ الجواب: لأن الله أعلم بنفسه من خلقه، أعلم بنفسه من خلقه سبحانه وتعالى.

ونثبت لله ما أثبته له رسوله ﷺ لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك يوحى إليه وهو أعلم ﷺ بصفات الله عز وجل من سائر الأمة، لكن ننتبه إلى أمر هنا وهو أنه لابد من صحة الحديث، لا بد من صحة الحديث ولا يلزم أن يكون الحديث متواتر، بل كل ما صحّ في باب الصفات يجب الإيمان به ويجب إثباته، وأما التفريق في هذا الباب بين المتواتر والآحاد فهذه ليست طريقة أهل السنة، وليست طريقة السلف، إنما هي طريقة المُبتدعة المُعتزلة ومن سلك سبيلهم، فإن من علامات أهل البدع في هذا الباب: التفريق بين الأحاد والمتواتر، كما أن من علاماتهم أيضا تقديم العقل على

النقل، ووصف النصوص النقلية بأنها ظنية والقواعد العقلية بأنها قطعية. هذه من قواعد أهل البدع في هذا الباب، إذن هذه قاعدة الإثبات: فيجب أن نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ.

- **القاعدة الثانية:** تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين وعن كل نقص وعيب، كما أن الله عز وجل وصف نفسه وأثبت لنفسه صفات، فإنه نزَّه نفسه قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقال جل وعلا: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وقال جل وعلا: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، كل هذا نفي صح؟ كل هذا نفي، نزه الله عز وجل عن نفسه مشابهة المخلوقين ونزه نفسه عن كل عيب ونقص فيجب أن ننزه الله عز وجل عن كل ما نزه نفسه عنه.

لكن ننتبه إلى قيدٍ في قاعدة النفي وقاعدة التنزيه، ألا وهو أن النفي والتنزيه في باب الصفات ليس نفياً محضًا، وإنما هو نفي مع إثبات كمال ضدِّ المنفي، لأن النَّفي المَحض ليس كمالا، عدَم، النفي المحض الذي لا يلزم منه إثبات كمال ضدِّ هذا المنفي عدَم والعدم ليس فيه مدحٌ وليس فيه كمال، فربُّنا جل وعلا نزَّه نفسه عن الظلم، فننزِّه الله عن الظلم مع إثبات كمال عدلِه جل وعلا، وكذلك لا تأخذه سِنة ولا نوم ل: كمال حياته وقيُّوميته... وهكذا، فكل صفة نزَّه الله جل وعلا نفسه عنها ننزِّه الله عز وجل عنها ونثبت كمال ضدِّ هذا المنفي، هذه قاعدة التنزيه وقاعدة النفي.

ولا بُدَّ في باب الصفات من الجمع بين الإثنين، لا نُغَلِّب باب الإثبات ولا نُغلِّب باب النَّفي، لا نأخذ بالنفي دون الإثبات ولا نأخذ بالإثبات دون النفي:

- المُشبّهة: أخذوا بالإثبات ولم يأخذوا بالنفي.
- والمُعطِّلة: أخذوا بالنفي ولم يأخذوا بالإثبات.
- والسلف: جمعوا بين القاعدتين.

وبالمناسبة توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، كل واحدٍ من هذه الابواب لابُد فيه من الجمع بين النفي والإثبات، كما في توحيد الألوهية: "لا إله إلا الله" فيها نفيٌ وإثبات، والربوبية كذلك تُثبت الخلق والرزق والربوبية لله وتنفيها عن كل ما سواه، وكذلك في باب الأسماء والصفات تُثبت ما أثبته الله لنفسه وتُنزه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقين وعن كل نقص وعيب.

- **الأساس الثالث والأخير:** هو عدم الخوض في كيفية صفات الله تعالى وقطع الطمع عن ذلك، وبعض أهل العلم يقول: قطعُ الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تعالى. لا يجوز أن نخوض في كيفية صفات الله تعالى.

ولذلك أهل العلم لما تكلموا في باب الإثبات وفي باب النفي حذروا من محظورين في قاعدة الإثبات ومحظورين في قاعدة النفي، فقالوا نثبت لله ما أثبته لنفسه: من غير تكييف، ومن غير تمثيل، ففي باب الإثبات نحذر من أمرين:

- التمثيل: يعني أن نثبت لله صفة تماثل صفات المخلوقين فإن هذا لا يجوز.
- وأن نحذر من تكييف الصفة: يعني تحديدها وتحديد كُنَهها ونحو ذلك، هذا لا يجوز وهذا لا يجوز.

ففي باب الإثبات نحذر من التمثيل والتكييف، وفي باب التنزيه والنفي نحذر من أمرين ما هما؟ التعطيل والتحريف: فالمُعطلة أتوا إلى النصوص التي فيها إثبات الصفات فعطّلوا الصفة وحرفوا النصوص وهذا لا شك أنه باطل، وهم يسمُّون التحريف كما سنعرف في "الحموية" تأويل، يزينون الكَلِم لكي يكون له رواج عند الناس وقبول، لأن الإنسان إذا قال تحريف، التحريف منكر، من الذين حرّفوا النصوص؟ اليهود، فالذي يأتي ويقول نُحرّف هذه الآية الناس لا يقبلون منه لكن إذا قال تأويل يقبلون منه لأن التأويل له معنى صحيح وله معنى باطل كما بيّن الشيخ كما سنعرف إن شاء الله عز وجل.

إذن لا يجوز أن نخوض في كيفية صفات الله تبارك وتعالى، تعلمون الأثر العظيم الوارد عن الإمام مالك -رحمه الله- لما سُئل: (يا مالك ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟) هذا السؤال عن ماذا؟ الكيفية فماذا قال الإمام مالك؟ قال: (الاستواء معلوم)، معروفٌ معناه تعرفه العرب، (**استوى**): يعني علا وارتفع وصعد واستقر، قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة).

هذا الأثر تطبيقٌ للأسس الثلاثة التي قررناها وعرفناها الآن، فنؤمن بصفات الله عز وجل ونعرف معنى الصفة لأن الله خاطبنا بلسان عربيٍ مبين، وأما الكيفية فهي مجهولة، الكيف مجهول والله عز وجل لا أحد يحيط به علما سبحانه وتعالى، مهما فكر الناس فلن يبلغوا إلى كُنَهه وكيفيته سبحانه وتعالى، ولذلك لا يجوز للإنسان أن يخوض في كيفية صفات الله، فقال: (السؤال عنه بدعة)، لماذا بدعة؟ لأن الصحابة -رضي الله عنهم- ما سألوا النبي ﷺ ولا مرة واحدة عن كيفية صفة من الصفات أبداً، بل لم يستشكلوا حديثاً واحداً من أحاديث الصفات، مع أنه قد ورد منهم أنهم استشكلوا بعض نصوص الأحكام وبعض النصوص، إلا باب الصفات فإنه لم يرِد عن أحد من الصحابة أنه استشكل نصاً واحداً من نصوص الصفات أبداً.

وأضرب لكم مثالا: عُديّ بن حاتم -رضي الله عنه- ورد أنه سمع قول الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ فوضع عِقالان أبيض وأسود

وأخذ يأكل حتى أسفَر الصُبح ورأى العِقالان فأمسك عن الأكل، فَهِم الآية على غير مرادها، فبين للنبي ﷺ وأخبره، فبين له النبي ﷺ أن هذا الفهم لم يكن هو الفهم الصحيح للآية، الآية هذه، ما الذي قبلها آية من آيات الصفات ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ما استشكل عدي بن حاتم -رضي الله عنه- صفة القُرب لله عز وجل، ما استشكله وما سأل عنه، مع أنه سأل عن آية السَّحور وآية الصيام -رضي الله تعالى عنه-.

وهذا الباب واسع لذلك الشيخ -رحمه الله- بدأ هذه الفتوى بقاعدة مهمة جدا جدا، ونختم بها مُقدمتنا هذه قبل أن نقرأ الفتوى ألا وهي:

بيان النبي ﷺ لباب الصفات:

بيان النبي ﷺ لباب الصفات، باب الصفات أكثر باب بيّنه المصطفى ﷺ، هذه قاعدة لا بد أن تكون مستقرة عندنا ومتقرّرة وواضحة وبينة، الله عز وجل قال: ﴿اليومَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُم نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسۡلَامَ دِينًا﴾، متى نزلت؟ في يوم عرفة، في عرفة في حجّة الوداع، فقال النبي ﷺ للصحابة وللجمع: «**إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة، قال: «**اللهم فاشهد**».

لذلك يقول الإمام مالك -رحمه الله-: «**محال أن يكون النبي ﷺ قد بين الاستنجاء وما بيَّن التوحيد، وما بيَّن صفات الله عز وجل وما بين أسماءه وصفاته جلّ وعلا**».

فالنبي ﷺ بيَّن هذا الباب ولذلك هذه قاعدة مهمة في توضيح هذا الباب، وأيضا في الرد على كل مخالف، أن يقال له هذا السؤال: هل النبي ﷺ بين باب الصفات أو لا؟ إذا قال لا فهذا طعن في النبي ﷺ بل طعن في الشريعة! الذي يقول أن النبي ﷺ لم يبين باب الصفات هذا إما أنه يقول أن النبي ﷺ لم يُبلّغ الرسالة كاملة، أو أن الدين الإسلامي لم يَكمُل، وهذا لا شك أنه باطل، بل أهم المهمات هو باب الصفات ورسول الله ﷺ قطعا قد بيَّنه، والصحابة قد فهموه، وهم أفهم الناس وأعلم الناس، مستحيل أن يبيِّن النبي ﷺ هذا الباب ثم لا يفهمه الصحابة، ويأتي بعدهم أقوام بقرون قد تعلموا المنطق والفلسفة فيكونون أعلم من الصحابة بباب الصفات!!! هذه قاعدة مهمة ألا وهي ماذا بيان النبي ﷺ لباب الصفات.

نبدأ بإذن الله عز وجل بقراءة "الفتوى الحموية"، طبعا الطبعات التي طُبعت بها "الفتوى الحموية" الموجودة المطبوعة كثيرة، فالفتوى الحموية موجودة ضمن "مجموع الفتاوى" في المجلّد الخامس

في أول رسالة منه، أول رسالة من "مجموع الفتاوى" فتاوى الشيخ الإسلام التي جمعها ابن قاسم أول رسالة فيها هي "الفتوى الحموية الكبرى"، وأيضا طُبعت طبعات كثيرة من أجودها طبعة الدكتور "التويجري" محققة تحقيقاً جيداً، وطبعت أكثر من طبعات وزاد فيها وعدّل أيضا، وهناك طبعة أيضا جاءت بعدها وهي من تحقيق... نسيت اسمه كذا "الغامدي"، وهناك طبعة كان من المفترض أن تكون بين أيدينا وهي طبعة جديدة متقنة للدكتور "دغش" والدكتور دغش معروفٌ بتحقيقاته أنه دائما عنده إضافات علمية جيّدة، لكن إن شاء الله عز وجل طبعة الدكتور دغش تُوزع الجمعة القادمة عليكم، فنحن الآن الذي بين أيديكم هذه "الفتوى الحموية" المُسطّرة بين أيديكم ليست هي الحموية كاملةً، نحن صورنا لكم جزءاً منها يكون بين أيديكم هذا الدرس وإن شاء الله الأسبوع القادم تكون بين أيديكم طَبعة الدكتور دغش، طُبعت بعنوان "المسألة الحموية" بتحقيقه، وحسب علمي أنه وقف على نُسخٍ خطية فيها فوائد وإن شاء الله تكون هي أجود التحقيقات بإذن الله عزوجل.

لكن المقصود هو أن كثرة النسخ الخطيّة وكثرة المخطوطات هذا يجعل عند الباحثين وِجهات نظر، فأحيانا المحقق يكون عنده وجهة نظر أنّ العبارة تكون على هذا النحو وقد يخالفه غيره من أهل العلم، وهذا وجدناه يعني سواء في تحقيق الدكتور "التويجري" على "الحموية" أو في تحقيق الدكتور "السعوي" على "التدمرية"، كنا نقرأ على مشايخنا فيُخالفون أحيانا المُحقّق يقولون الذي أثبته خلاف الذي ذَكره في الحاشية أو في الهامش، هذه وجهات نظر بين الباحثين وبين أهل العلم.

هي هذه الطبعات الثلاثة المشهورة، أوّل تحقيق طُبع للدكتور "حمد التويجري" ثم بعده "الغامدي" ثم بعده الآن الدكتور "دغش" وإن شاء الله تكون بين أيديكم الجمعة القادمة إن شاء الله.

❖ ما جاء في نُسخة الفتوى الحموية:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمدُ لله وحده، والصّلاة والسلام على من لا نبِيَّ بعدَه، سُئل شيخُ الإسلام)

طبعا هذا اللقب: "شيخ الإسلام" -رحمه الله- لُقِّب هذا اللقب ولُقِّب لقباً آخر ب"تقيّ الدين"، وكان يكره هذه الألقاب -رحمه الله- لأنه كما هو معلوم من أدب العلماء البُعد عن تزكية النفس وعن هذه الألقاب التي فيها غُلوّ وإطراء ونحو ذلك، لكن الناس لعلمه -رحمه الله- ولسِعة اطّلاعه ولرجوع الناس إليه ولإمامته ولعلمه الواسع في العلوم كلها لقّبوه بهذا اللقب. وإلا هو اسمٌ ولقبٌ لم يتسمّى به -رحمه الله- لكن اشتُهر بين الناس.

كما أن هذا اللقب لُقّب به غيره من أهل العلم، لقّبوا بشيخ الإسلام، والمقصود به: العالم الكبير الذي هو على قدرٍ كبير بالعلم في هذه الشريعة الإسلامية ورجوع الناس إليه.

(سُئل شيخ الإسلام العالم الرباني" تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية" -رحمه الله تعالى-: (ما قول السَّادة العُلماء أئمة الدين في آيات الصفات).)

الآن هذا سؤال، وهذا السؤال من السائل إلى ابن تيمية تطبيقٌ لقول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وتطبيق لقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. فهذا هو الواجب على طلاب العلم: أن يرجِعوا إلى أهل العلم الكبار، أن يرجعوا إلى أهل العلم فيسألونهم.

وهذا السؤال في آيات الصفات، نصوص الصفات كما عرفنا.

(في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾)

وقد ورد ذكر الاستواء في القرآن في سبعة مواضع، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ... هذه الآيات كلها فيها إثبات ماذا؟ صفة الاستواء، والاستواء معناه كما دلت عليه النصوص وكما قرره السلف وكما قرره أئمة اللغة العربية أنه له معاني أربعة: علا، وارتفع، وصعد واستقرَّ.

(إلى غير ذلك من آيات الصفات)

طبعا الصّفات يقسِّمها أهل العلم باعتبارات فيقسمونها إلى: صفات ذاتية وصفات فعلية:

- **فالصفات الذاتية:** هي الصفات التي لا تنفكّ عن ذات الله عز وجل، أي لم يزل ولا يزال مُتصفا بها.
- **صفات الفعلية:** فهي التي يتصف بها متى شاء، فهي تابعة لمشيئته جل وعلا، فمتى شاء فعلها مثل: الاستواء والنزول والمجيء.

أيضا تُقسّم الصفات إلى: صفات خبرية وصفات عقلية:

- **صفات خبرية:** هي الصفات التي لولا الخبر لما عرفناها، يعني لولا مجيء النصوص بها لما عرفناها ولما عِلِمناها، مثل ماذا؟ مثل: صفة اليدين، صفة الوجه، صفة القدم والساق لله عز وجل...
- **صفات العقلية:** فهي ثابتة في النصوص ولا يجوز لنا أن نثبت شيئا لم يأت في النصوص بعقولنا، ولكن هي صفات جاءت في النصوص ودلَّ عليها العقل مثل: العلم، يستحيل عقلا أن يُوجد إله لا يعلم، ويستحيل عقلا أن يوجد إله لا يتّصف بالقُدرة، ويستحيل عقلا أن يوجد خالقٌ لا يتصف بالإرادة والمشيئة كيف يخلق من غير إرادة ومشيئة؟

هذا هو الفرق بين العقلية والخبرية وسيأتي إن شاء الله فيها زيادة بيان.

(وأحاديث الصفات)

ومثل ما عرفنا أن الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ إذا صحّت يجب إثباتها، ولا نقول كما تقول المُعتزلة وغيرهم من أهل البدع: أن نثبت المتواتر دون الآحاد، هذا أوّل من فرّق هذا التفريق وأتى به هم المُعتزلة وأرادوا به ردّ نصوص الصفات.

(وأحاديث الصفات كقوله ﷺ: «**إن القلوبَ بين إصبعين من أصابعِ الرحمن**» إلى غير ذلك)

هذا الحديث حديثٌ ثابت، وفيه إثبات صفة الأصابع لله عز وجل، وقوله ﷺ: «**يضع الجبار قدمه في النار**» هذا فيه إثبات صفة القدمين لله تبارك وتعالى.

طبعا صفة الأصابع والقدم هي من الصفات الخبرية، وهذه أكثر خلاف المعطلة، في هذا الباب من الصفات.

(وما قالت العُلماء فيه، وأبسِط القول في ذلك مأجورين إن شاء الله)

فطلب الجواب من الشيخ -رحمه الله- وطلب بَسط الجواب، قوله (مأجورين إن شاء الله): من المعلوم أن باب الدعاء لا يقال فيه إن شاء الله، النبي ﷺ قال: «**لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت وليعزِم المسألةَ**».

لكن هذا قوله هنا (إن شاء الله) قول السائل من باب الخَبر ليس من باب الدعاء، وإلا الدعاء لا يُعلّق بالمشيئة كما ورد: «**لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت**» وإنما هو من باب الخبر، كقول النبي ﷺ في دعاء المريض: «**طهورٌ إن شاء الله**».

(فأجاب -رضي الله عنه-)

كلمة رضي الله عنه الأصل أنها تُطلق على الصحابة، لكن لا مانع أن تطلق على غيرهم من باب الدعاء، أن تدعو الله أن يَرضى عن فلان وفلان.

(الحمد لله رب العالمين)

بدأ بحمد الله عز وجل، وحمدُ الله هو وصفُ المحمود بصفات الكمال والجلال مع المحبة والتعظيم، وابن القيم -رحمه الله- يقول في "بدائع الفوائد": (يجب على العبد أن يحمد الله من وجهين الوجه الأول: لكماله جل وعلا، والوجه الثاني: لإنعامه سبحانه وتعالى وإفضاله) يعني كثرة نِعمه وهو المنعم وحده جل وعلا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾

وناسب هنا أن يبدأ بالحمد لأن الحمد فيه ثناءٌ ومدح، وهو من باب الإثبات، أما التسبيح فهو تنزيه الله عز وجل، فالحمد هو على قاعدة الإثبات التي عرفناها، والتسبيح هو على قاعدة التنزيه، ولذلك أفضل الذكر: سبحان الله وبحمده، ففيها الجمع بين الثناء على الله وتنزيه الله سبحانه وتعالى، فيها الجمع بين النفي والإثبات.

(قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ)

وهذا تنبيه على مصادر التلقّي، مصادر تلقي العقيدة، العقيدة إنما تُتَلقّى من الكتاب والسنة لا من القواعد العقلية والفلسفية.

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)

أيضاً، لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ من بعدي**»، فمنهج الصحابة مصدرٌ من مصادر تلقّي العقيدة، بل القرآن دلّ على ذلك في أي آية في سورة

النساء في قوله جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المؤمنين في زمن النبي ﷺ الصحابة، فالذي يخالف منهج الصحابة يكون مُتوّعد: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم)

الأئمة من التابعين وأتباع التابعين.

(وهذا هو الواجب على جميع الخلق)

هنا نبه بعد أن ذكر الكتاب والسنة وأقوال الصحابة -رضي الله عنهم- نبّه على مصدر الإجماع، إجماع السلف وإجماع الأئمة، وهذا أمر مهمٌ في تلقي العقيدة.

(قال وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره)

يعني من أبواب الدين.

(فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق)

هنا سيبيّن الشيخ القاعدة المهمة: وهي بيان النبي ﷺ للتوحيد وبيان النبي ﷺ لباب الصفات.

(فإن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾)

انتبهوا لهذه العبارة: (فمن المُحال في العقل والدين أن يكون السِّراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذن على بصيره وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته، مُحال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها)

هذه قاعدة مهمة، محال، يستحيل أن النبي ﷺ مات ولم يبين باب الصفات.

(ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية)

جعله أصل عظيم من أصول الدين، أن تعرف أن النبي ﷺ بّين هذا الباب، ما مات إلا وقد بينه ﷺ.

(وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا؟!)

مستحيل

(ومن المحال أيضا أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أمته كل شيء حتى الخِراءة)

كما جاء في حديث سلمان الفارسي: جاءه أحد المشركين واليهود فقال مُتهكِّماً مستهزئاً: (علَّمكم نبيُّكم كل شيء حتى الخِراءة)...

والخِراءة: هذه الكلمة تُطلق في اللغة العربية على قعدة قضاء الحاجة، أو جِلسة قضاء الحاجة، تطلق على هذه الجِلسة وهذه الهيئة التي يكون عليها الإنسان حال قضاء الحاجة، فسلمان رضي الله عنه قال: (أجل بيَّن لنا).

ومستحيل كما يقول الإمام مالك: (محال أن يكون النبي ﷺ بيّن الاستنجاء ولم يُبين باب صفات الله عز وجل).

(وقال: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وقال فيما صحَّ عنه أيضا: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**»)

وهذا من نُصح كل نبي لأمته، والنبي ﷺ الذي نعتقد أنه أنصَحُ الخلق للخلق وما ترك خيراً إلا دلَّ الأمة عليه ولا شراً إلا حذرها منه، كيف لا يُبين هذا الباب العظيم؟

(وقال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علما).

وقال عمر بن الخطاب: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه). رواه البخاري.)

ابن تيمية -رحمه الله- في مواطن من كتبه عَقدُ مقارنةٍ بين بيان صفات الله وبين بيان اليوم الآخر والمعاد، سواء في القرآن أو في السنة، وخرج بنتيجة وهي: أن ما جاء من بيانِ صفات الله في الكتاب والسنة أكثر وأضعافٌ مضاعفة من بيان اليوم الآخر وخبر المعاد، وهذا كلُّه يؤكِّد لنا قضية ألا وهي: بيان النبي ﷺ لباب الصفات.

(ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد)

معرفة الله عزَّ وجلّ من الغايات التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض، ما الدليل على ذلك؟ جاء في آية في القرآن أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض لكي يَعرِف الناس ربهم، أي آية؟ آخر آية في سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا﴾ هذه لام الغاية والحِكمة والعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

فمعرفة الله ومعرفة أسماءه وصفاته من الغايات التي من أجلها خلقنا سبحانه وتعالى، وخلق السماوات والأرض، فمحالٌ أن يبعث نبينا ﷺ ويموت ولم يُعلِّم الصحابة هذا الباب ولم يُعرِّفهم بربِّهم ولم يعرِفوا ربَّهُم، فهذه غايةٌ حتى قبل عبادة الله عز وجل، كيف الإنسان يعبد الله وهو لا يعرف الله عز وجل؟ بل كلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد عبادةً له، وكلَّما كان العبد بربه أعلم

كان منه أخوف، ولذلك كان العلماء هم أهل الخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فمستحيل أن يكون الصحابة لم يعرفوا هذا الباب ومستحيل أن يكون النبي ﷺ لم يُبيِّن هذا الباب، هذه قاعدة مهمة قبل الدخول فيما سيتكلم فيه الشيخ -رحمه الله-.

(والوصول إليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدَّعوة النبوية، النبي عليه الصلاة والسلام ما بُعث إلا لبيان هذا الأمر)

فهذا الأمر أولى المطالب.

(وزُبدَة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكةٍ من إيمان وحكمة ألا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول في غاية التمام، ثمّ إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المُحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب.)

أيضا إذا تقرر أن النبي ﷺ بيَّن هذا الباب يجب أن نعتقد بعد ذلك أنه مُحال أن يكون الصحابة قصَّروا في هذا الباب، مستحيل أن يكون الصحابة قصروا في فهمه ومستحيل أن يكون الصحابة قصّروا في نقله للأُمة وفي بيانه لمن بعدهم من أجيال من تابعين وأتباع تابعين، فهذا أيضا من الأمور المُهمة.

(فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها) يعني الصحابة (قصَّروا في هذا الباب)

(زائدين فيه أو ناقصين عنه، ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بُعِث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين غير قائلين في هذا الباب بالحقِّ المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما مُمتَنع)

يعني يمتنع أن يكون الصحابة كتموا العلم ويمتنع أن يكونوا قد جهلوا هذا الباب هذا أمر ممتنع مستحيل عليه.

(أمّا الأول فلأن من في قلبي أدنى حياة وطلب للعلم أو نَهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق في أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته.)

يعني الإيمان، كما قال الإمام مالك: (الإيمان به واجب). فكانوا يسألون عن الإيمان لا يسألون عن كيفية الصفات.

(وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر وهذا أمر معلوم بالفِطرة الوُجْدِيَّة)

تُشكلونها بهذا التشكيل: الفِطرة **الوُجْدِيَّة**، نِسبةً إلى الوجود، الفطرة التي وُجدوا عليها، بالفطرة الوجدية نسبةً إلى الوجود أي الوجود الأوَّل الذي كانوا عليه.

(فكيف يُتصوَّر مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلَّف عنه مُقتضاه في أولئك السَّادة في مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضا عن الله وأعظمهم إنكباباً على طلب الدنيا والغَفلة عن ذكر الله تعالى فكيف يقع في أولئك؟!)

هذا الأمر الأول، الأمر الثاني:

(وأما كونهم كانوا مُعتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلمٌ ولا عاقلٌ عَرف حال القوم)

مستحيل أن يكون الصحابة على خلاف الحق، وإلا ما كان النبي ﷺ ليأمرنا باتباعهم.

(ثم الكلامُ في هذا الباب عنه أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى)

هنا سمَّى الشيخ هذه الرسالة "فتوى".

(وأضعافها)

ويدلُّ هذا الكلام من الشيخ أنه أراد الاختصار، قَصَد الاختصار وما أراد البسط، وإلا من أراد البسطَ فعنده كتب مطوَّلة بسط فيها الكلام في هذه المسائل مثل "بيان تلبيس الجهمية" ومثل "درء تعارض العقل والنقل"، فإن فيها بسط أكثر مما في "الفتوى الحموية"، لكن سبحان الله هذه الفتوى جاءت لها من الشُهرة والذُيوع أكثر من كتبه الأخرى -رحمه الله-.

(أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها، يعرف ذلك من طَلبه وتتبَّعه.

ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين)

هذه قضية مهمة، إذا تقرر عندنا أن النبي ﷺ بيّن هذا الباب، ثم تقرّر عندنا أن الصحابة عرفوا هذا الباب أيضا، يجب علينا أن يتقرر عندنا أن الخَلَف الذين جاءوا بعد الصحابة مستحيل أن يكونوا أعلَم من الصحابة، مستحيل أن يأتي من جاء بعد الصحابة بقُرونٍ أن يكون أعلم من الصحابة الذين جلسوا بين يدي النبي ﷺ وسمِعوا منه.

(ولا يجوز أيضا يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يُقدِّر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقةَ المعرِفة المأمور بها من أنَّ (طريقة السلف أسلم وطريقة الخَلَف أعلم وأحكم)!!)

هذه مسألة خطيرة جدا، هذه مسألة يقول بها المبتدعة يقولون: (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) قبل الكلام على هذه المقالة بعدها عندكم جملة، جاء في بعض الطبعات عِبارةٌ: (وإن كانت هذه العبارة إذا صَدَرت من بعض العلماء قد يُعنى بها معنى صحيح) هذه الكلمة ليست من كلام ابن تيمية.

النُسخة التي معكم نُسخة مُحقَّقة، أخذناها من نسخة مُحققة مُتقنة، لكن أنا أنبِّه لهذا لكي حتى من يسمعنا في التسجيل ينتبه لهذه العبارة الموجودة في بعض الطبعات، فيه عبارة وهي بعد قوله (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) جاءت كلمة وهي: (وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يُعنى بها معنى صحيح).

أهل العلم بيّنوا أن هذه العبارة ليست صحيحة بوجه من الوجوه، فهذه الكلمة (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) عبارةٌ باطلةٌ من كل وجه، وهذه العبارة التي أُقحِمت بعدها أقحَمها بعض النسَّاخ، لذلك لم توجد إلا في نسخة خطيَّةٍ واحدةٍ فقط وهي النسخة التي اعتمدها ابن القاسم في "مجموع الفتاوى"، فلو رجعتم إلى الحموية في "مجموع فتاوى شيخ الإسلام" تجدون أن هذه العبارة موجودة، لكن أهل العلم نبَّهوا عليها أنها ليست صحيحة، وأن هذه العبارة (طريقة السلف أسلم وطريقة الخالف أعلم وأحكم) أنها كلمة باطلة، ما المقصود بطريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؟ عندنا سَلفٌ وعندنا خَلَف:

- **السَّلف:** يُقصد بهم الصحابة والتابعون، أصحابُ القرون المفضلة.

- **الخَلَف:** من جاءوا بعدهم بعصور ودرسوا عِلم الكلام، وأعملوا قواعد عقلية فخرجوا بما يسمونه "تأويل".

فأتوا هؤلاء بهذه القاعدة فقالوا (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، وعَنوا بقولهم: طريقة السَلَف التفويض وطريقة الخلف التَأويل، وصحَّحُوا الطريقتين!! فيقال لهم أوّلا: ليس التفويض مذهباً للسلف قطعاً.

-**التفويض** معناه: الإيمان بالألفاظ وتفويضُ المعنى، يعني لا نعلم معاني الصفات، هذا معنى التفويض، أن نُؤمن بالألفاظ ونفوّض المعنى.

-وقولهم (طريقة الخلف أعلم وأحكم) هي ما يعنون به **التأويل:** وهو إعمال القواعد وتأويل النصوص، يعني صرفُها عن ظاهرها، كما سيأتينا إن شاء الله.

فيقصدون بطريقة السلف التفويض وطريقة الخَلَف التأويل وهو صرف نصوص الصفات عن ظاهرها، ولا شك أن هذا باطل وهذا باطل، ولذلك المتأخّرِين منهم، المتأخرين من المتكلمين صحَّحوا الطريقتين، صححوا طريقة التفويض وصححوا طريقة التأويل، فإن فوَّضت قالوا: أن طريقتك صحيحة، وإن أوَّلت وصرفت اللَّفظ عن ظاهرَه إلى معنى مرجوحٍ باطل أيضا قالوا: طريقتك صحيح، ولذلك يقول "اللقاني" في "الجوهرة" التي هي معتمدة عند الأشاعرة يقول:

وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا   أَوِّلْهُ أو فوِّض وَرُمْ تَنْزِيهَا

ويُقال له أن هذا البيت باطل، لأن نصوص الصِّفات لا توهم التشبيه، لماذا هم قالوا أن نصوص الصفات من المتشابه؟ ولماذا قالوا نصوص الصفات توهم التشبيه؟ لأنهم ما تقرّر عندهم قاعدة أن النبي ﷺ بيّن باب الصفات، يُوهم التشبيه إذا لم يتقرر عندنا أن النبي ﷺ بيّن الباب، ويوهم التشبيه إذا اعتقدنا أن الصحابة قصَّروا في هذا الباب، انظروا إلى اللَّوازم الفاسدة.

فيقال لهم: مذهب التفويض باطل، وليس مذهبا للسلف من وجوه كثيرة:

- **أوَّلا:** هذا الاعتقاد تلزم عليه لوازم فاسدة جدا، أوّلُ هذه اللوازم أن فيه تجهيلاً للسلف أنّ السلف كانوا يعرفون الآيات فقط ألفاظاً، أما المعنى ما يعرفون، وهؤلاء الخلف أعلم من السلف بالمعاني، وهذا فيه تجهيل للسلف.
- **ثانيا:** أنه وردت عبارات كثيرة عن السلف تُفيد أنهم يعرفون المعاني، وفسّروا القرآن مثل ابن عباس -رضي الله عنه-، وتلاميذ ابن عباس، وابن مسعود، وتلاميذ ابن مسعود، ولذلك قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول)، وغيره من السلف كانوا يَنفون الكيفية ويقولون (بلا كيف)، ويقولون (أمِرُّوها بلا كيف)، وقولهم بلا كيف يلزَم أنهم أثبتوا معنًى، وإلا الذي لا

يُثبت معنى، أيُّ كيفٍ ينفي؟! نفيُ الكيفِ لا يكون إلا بعد إثبات المعنى، وإلا لا يكون هناك كيفٌ منفي، وستأتينا إن شاء الله موضّحة أكثر في كلام الشيخ.

هذا من جهة السلف، فالسلف هم أعلم الناس بهذا الباب، وليست طريقتهم التفويض.

نأتي إلى الخَلَف، كيف تكون طريقة الخلف؟! يستحيل أن يكون طريقة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف لأنه يلزم من ذلك أن يكون الخلف أعلم من السلف، وفي هذا تجهيلٌ للسلف ثم هنا أمر مهم وهو أن السلامة لا تكون خالية من العلم والحكمة لا تكون خالية من العلم والإحكام، وكذلك العلم والإحكام لا يكون خاليا من السلامة، بل يُقال طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، لا تكون طريقة توصف بأنها أسلم وطريقة توصف بأنها أعلم وأحكم.

آخر أمر نتكلم فيه ولا نطيل على هذه الكلمة: هي أن هذه الكلمة هنا أوردها الشيخ وردَّ عليها وأبطلها -رحمه الله- فيها دليل على أن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يرتضِي التفويض ولا يرتضي مذهب التفويض ولا يُصحِّح مذهب التفويض، وهذا واضح في كلام الشيخ في كتبه كثيرا، لكن وللأسف نجد أن بعض الناس يقول أن الشيخ يرتضي مذهب التفويض وأنه يَنقلُ بعض كلام الحنابلة ولا يُنكِر عليهم التفويض الذي عندهم ونحو ذلك، وهذا غير صحيح، "الفتوى الحموية" كلها في إبطال مذهب التفويض، كيف بعد هذه الفتوى نقول أن ابن تيمية يرتضي مذهب التفويض؟ أو أنه لا يُنكر على المفوِّضة أو أنه لا يبطل مذهب المفوضة؟!

بل مذهب التفويض مذهبٌ باطل يلزم منه: تجهيل السَّلف، ويلزم منه لوازم فاسدة كثيرة منها عدم تدبر القرآن، أو أن القرآن توجد فيه أشياء لا أحد يعرف معناها أو أن أسماء الله وصفاته لا أحد يعرف معناها، وهذا باطل، وربنا جلَّ وعلا قال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، وقال:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

فهذا القول أو هذا المذهب هو مذهب رَدِيء جداً، مذهب التفويض يلزم منه هذه اللوازم الفاسدة.

(فإن هؤلاء المبتدعين)

وهذا الحكم بالبدعة يشمل المُؤوّلة والمفوّضة.

(الذين يُفضِّلون طريقة الخَلف من المُتفلسفة ومن حَذا حذْوَهم على طريقة السلف إنما أُتوا من حيث ظنُّوا أن طريقة السَّلف هي مُجرّد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾، وأن طريقة الخَلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المَجازات وغرائب اللغات)

لأنهم أتوا بقواعد منطقية صرفوا النصوص عن ظاهرها واستعملوا المجاز ووسَّعوا باب المجاز في باب الصفات حتى أتوا بغرائب اللغات، أتوا بمعاني حمَّلوها النصوص وهي يعني معاني غريبة، لم تؤثر عن السلف، بل حتى لم يقل بها أئمة اللغة العربية.

(فهذا الظنُّ الفاسد أوجَب تلك المَقالة)

ما هي المقالة؟ (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم).

(التِي مضمونها َنبذ الإسلام ورَاء الظهر وقد كذَّبوا على طريقة السلف وظلُّوا)

انظروا، هذا صريحٌ في إنكار ابن تيمية للتفويض، إنكار ابن تيمية لمذهب المفوضة.

(وقد كذَبوا على طريقة السلف وظلُّوا في تصويب طريقة الخَلَف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذِب عليهم وبين الجهل والضّلال بتصويب طريقة الخلف)

يعني جعلوا الخَلف هم أهل العلم والإحكام والقواعد والمقدِّمات والنتائج، كما يذكرون في قواعدهم الكلامية.

(وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نَفس الأمر صفةً دلّت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة)

طبعا هم عندهم شبهات فاسدة كثيرة، الشيخ هنا يعني كلامه مُنصبّ على المعطلة، سواء كانوا مفوّضة أو مؤوّلة، وشُبهة التعطيل هي أنهم اعتقدوا التشبيه أولا، ففرُّوا من التَّشبيه إلى التَّعطيل، ظنوا أن هذه النصوص نصوص الصفات إثباتها يلزم منه تشبيه الله بالمخلوق، فلما توهَّموا هذا الظن وهذه الشبهة الفاسدة قالوا بهذه المقالة، فقالوا لابد من صرف النصوص عن ظاهرها، فأتوا بهذه الأمور قالوا: إما أن نفوّض وإما أن نصرِف النصوص عن ظاهرها، ولذلك قعَّدوا قاعدةً لازمة وهي: صرف النصوص عن ظاهرها، وأنه لا يجوز إعمال النُّصوص على ظاهرها، أو إمرار النصوص على ظاهرها، وبهذا خالفوا مذهب السلف.

(التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين فلمَّا اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر إذ إن هذه النصوص لا تدل على الصفة الحقيقية، وكان مع ذلك لا بُدَّ للنصوص من معنى)

ما فائدة أن الله عز وجل ينزل آيات وليس فيها معنى؟! هذا لا فائدة فيه.

(بقوا متردّدين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع تكلُّف وهي التي يسمُّونها طريقة الخَلَف)

يعني أنا أضرب لكم مثال فيه تكلُّف لهم، هنا قال: (إلى معانٍ بنوع تكلف)، يعني مِن تكلُّف هؤلاء المؤوِّلين أنهم أتوا إلى النصوص التي فيها أحاديث كثيرة وردت عن النبي ﷺ فيها أن الجبَّار جلّ وعلا يوم القيامة يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والسماوات على أصبع، هذا ورد فيه أحاديثُ صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ.

ماذا قالوا في معنى الأصبع؟ فرُّوا من إثبات هذا المعنى إلى معنى فاسد، وفيه نوع تكلُّف فقالوا: الأصبع مخلوقٌ يخلقه الله يوم القيامة يضع عليه السماوات والأرض والجبال. كل هذا لكي لا يُثبتوا صِفة الأصابع لله وصفة اليدين لله جل وعلا، فهم هنا بقوا متردِّدين بين مذهب التفويض من أنّ الألفاظ ليس لها معنى، أو إثبات معنى لا يدلُّ عليه اللفظ وهذه طريقة المؤوِّلين.

(فصار هذا الباطلُ مركباً من فسادِ العقل والكفر بالسَّمع)

لماذا قال الكفر بالسَّمع؟ لأنهم ما أحسنوا الظنّ بهذه الأدلة النقلية، بل يُصرِّحون أن الأدلَّة النقلية تُفيد الظن والأدلة العقلية تفيد القطع.

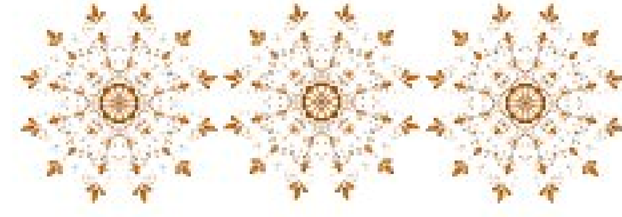
(فإنَّ النفي إنَما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شُبهات، والسمْع حرفوا فيه الكَلِم عن مواضعه)

سبحان الله، هم يُسمُّون الأدلَّة العقلية بيِّنات وبراهين وأدلة قطعية، والنصوص نصوص الكتاب والسنة يسمونها أدلة ظنِّية، يُسمونها سَمع يُسمونها... يهوِّنون من شأنها، حتى أنهم لما عرَّفوا علم الكلام قالوا: (هو الاستدلال بالقواعد العقلية) وبعضهم يقول: (البراهين القطعية على العقائد الدينية)، يعني هم عندهم الأصل هو القواعد العقلية هي التي يُثبَت بها العقائد الدينية، ولا شك أن هذا فاسد.

(فلما انبَنى أمُرهم على هاتين المقدِّمتين الكُفريَّتين الكاذِبتين كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستِبلاهُهُم)

والعياذ بالله، يعني وَصفوا أو نَسبوا الجهل إلى السلف.

(واعتقاد أنّهم كانوا قوما أمّيين بمنزلة الصالحين من العامَّة لم يتبحَّروا في حقائق العِلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كلِّه)



الـدَرسُ الثَّانِـى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

نستكمل قراءتنا، وقد قرأنا ما يتعلق بكلام الشيخ في مقدمات له، من أهمها تلك القاعدة العظيمة وهي: "بيان النبي ﷺ لهذا الباب".

ثم قال -رحمه الله-: (ثم هذا القول)

يعني المقالة الأخيرة التي ذكرها، وهي مقالة أن (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم).

(ثم هذا القول إذا تدبَّره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلال كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخُلف إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم)

المقصود: أن هؤلاء أبعدُ عن العلم وأبعدُ عن الفهم وأبعد عن الفقه من الصحابة -رضي الله عنهم-، لأن الصحابة والسلف:

- هم أقرب الناس إلى عصر النبي ﷺ، وهم الذين سمعوا الوحي من النبي ﷺ، هذا من جهة الوحي، ومن جهة تلقِّي الوحي.
- ومن جهة أخرى مهمة أيضًا، وهي أن الصحابة عربٌ فصحاء في ذاك الزمن لم يدخل عليهم اللحن ولم تتغير اللُّغة العربية، فهم أعلم الناس باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، بخلاف المتأخرين فإنهم فشا فيهم اللحن والجهل باللغة العربية ونحو ذلك.
- وهناك وجهٌ ثالث أيضًا يميز عصر الصحابة وهو خلُوُّ ذاك الزمن -زمن السلف- من البِدع وخصوصًا من بِدع المتكلمين ومن علم الكلام وعلم الفلسفة، كل هذا حصل في زمن المتأخرين.

ولذلك هؤلاء المتأخرين هم أبعد الناس عن الحق وأبعد من الصحابة -رضي الله عنهم-.

والآن سيسوق ابن تيمية -رحمه الله- اعترافات لكثير من أئمّة الكلام، الذين اشتغلوا بعلم المنطق وعلم الكلام والقواعد الفلسفية، وظنوا أنها هي السبيل لإثبات هذا الباب وإثبات العقيدة، ظنّوا أن أفضل طريق لإثبات العقيدة هو هذه القواعد الكلامية والقواعد المنطقية ثم بعد ذلك ندموا، فسيذكُر -رحمه الله- نَدَم أئمّةٍ كِبارٍ وأساتذة كبارٍ في هذا الباب ندموا أنهم خاضوا في علم الكلام، وتمنَّوا أنهم لم يخوضوا؛ لأن هذا العلم فيه شبهات كثيرة، والشُبهة في الغالب إذا دخلت في القلب لا تخرج، في الغالب، إلا من رحمه الله تعالى، ولذلك سيسوق علينا وسيسوق لنا اعترافات أساتذةٍ كبار.

(وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول...)

بدأ بكلام أو ببيتين للشهرستاني، و"الشهرستاني" من أساتذة الأشاعرة الكبار الذين خاضوا في علم الكلام فهو الذي يقول:

(لَعمري لقد طُفتُ المَعاهد كلّها وسيَّرت طرفِي بَينَ تِلكَ المَعالِمِ)

يعني معاهد ومدارس المُتكلِّمين.

(فلم أرَ إلاَّ واضعًا كفَّ حائرٍ على ذقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نادِمِ)

هذان البيتان للشهرستاني ذكرهما في كتاب له اسمه "نهاية الإقدام عن علم الكلام"، ويصوّر لنا بعد رحلته الطويلة وأنَّه طاف على تلك المعاهد وقرأ كلام المتكلمين أنَّه تبين له أن النتيجة والمآل والمصير إلى الحيرة وإلى الندم، هذا هو حال الخَلَف الذين يقولون أن طريقتهم (أعلم وأحكم)، مآلهم ومصيرهم إلى النَّدم والحيرة.

(وأقرُّوا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو مُنشئين له فيما صنَّفوه من كتبهم كقول بعض رُؤسائهم)

وهذا الذي سيذكره من أبيات هي لفخر الدِّين الرَّازي، و"الرَّازي" من أئمّتهم الكبارِ الذين صنَّفوا كُتبًا بل قنَّنوا قوانين، وله قانون معروف ب"قانون الرَّازي" في هذا الباب، زعم فيه أنه يجب تقديم العقل على النَّقل، وردَّ عليه ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل" و"بيان تلبيس الجهمية" وغير ذلك.

الشاهد أنَّ كُل من أتى بعد فخر الدِّين الرَّازي تبعٌ له في هذه القواعد، وهو قد ندم، وينقُل لنا هنا نَدمه، وهذه الأبيات ذكرها في أول كتابٍ له؛ اسم هذا الكتاب: "أقسام اللَّذات"، وهذا الكتاب هو في عِداد المفقود يَنقل عنه أهل العلم بواسطة؛ وهذا الكتاب بعضهم قال أنه موجود في بعض خَزانات المخطوطات، وذكر بعضهم أنَّ هناك نسخة خطية لهذا الكتاب في مكتبة مخطوطات في إسبانيا والله أعلم، لكن هذا اعتراف من الرَّازي وندم على خوضه في علم الكلام.

قال: (**نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ**)

وأكثر سعي العالمين يقصد بهم أهل الكلام.

(**وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا**)

لأن عندهم حيرة وشك ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾

سبحان الله! الإيمان والعقيدة الصحيحة سببٌ لاطمئنان القلب وراحةِ النَّفس وعدم الوحشة، أما عِلم الكلام ففيه الوحشة وفيه الحيرة.

(**وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِن جُسُومِنَا وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ**)

(**وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا...**)

البحث في هذه القواعد.

(**سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيه قِيلَ وَقَالُوا**)

هذه طريقتهم في كتبهم، إن قالوا كذا قلنا كذا، وإن قيل كذا قالوا كذا، لكن أهل السُّنة تجدون كتبهم: أخبَرَنا، حدَّثنا، قال فلان، قال النبي ﷺ، قال الله تعالى، باب قول الله تعالى، باب قول النبي ﷺ، باب قول عمر، قول ابن عباس... هذه كتب السلف.

أما كُتب المتكلِّمين كلّهم: وإن قلنا، وإن قيل، وقالوا... وهكذا كلُّها مقدّمات عقلية يُرتِّبون عليها أيضًا مقدِّمات ثم يخرجون بنتيجة، وفي الحقيقة أن المقدِّمات فاسدة وما ينبني عليها من نتائج أيضًا نتائج فاسدة بلا شك؛ لأن ما بُني على فاسدٍ فهو فاسدٌ وباطل.

والكلام لا يزال للرَّازي بعد أن ذكر هذه الأبيات يقول:

(لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية)

وهو أستاذٌ كبير في هذا ورئيس، كما يقول ابن تيمية (مِن رُؤسائهم).

(لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتُها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن)

لأن طريقة القرآن موافقة للعقل وموافقة للفطرة ولا تتناقض.

الله عز وجل قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، الذي من عند غير الله فيه اختلاف وتناقض، ولكن الذي من عند الله لا يتناقض أبدًا.

(أقرأُ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾)

هنا في إثبات ماذا؟ إثبات الاستواء.

(﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾)

إثبات ماذا؟ العلو.

(وأقرأُ في النَّفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ومن جرَّب مثل تجربتي عرَف مِثل معرفتي)

إلى هنا انتهى كلام الرَّازي، وهذا اعترافٌ منه على فسادِ طريقة الخلف المُتكلِّمين.

(ويقول الآخر منهم)

وهذا الآخر هو "أبو المعالي الجُوَيْنِي"، الجُوَيني صاحب "الورقات" و"كتاب البرهان" وغيرها من الكتب في أصول الفقه وفي الفقه، وهو من متأخِّري الأشاعرة ممن خاضوا في علم الكلام، وهذا اعتراف منه وندم وبيان لفساد طريقة المتكلمين.

(يقول: لقد خُضتُ البحر الخِضَمّ وتركتُ أهل الإسلام وعلومهم)

وهذه شهادةٌ من الجُوَيْنِي على أن عِلم المنطق ليس من علوم الإسلام بشهادته وهو ممَّن خاض في هذا الباب.

(وخُضتُ في الذي نَهوني عنه)

نهوه، ونهيُ السلف وذمُّ السلف لهذا العلم كثير جدًّا، صنّفوا فيه، حتى هناك كلمات مشهورة معروفة عن الإمام الشافعي -رحمه الله- في النَّهي عن علم الكلام ويقول: (حُكمي في أهل الكلام: أن يُضربوا بالجريد والنعال وأن يُطاف بهم في الأسواق).

(وخُضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمّي)

الآن هو نادم وتائب، والكلمة الأخيرة يقولها (ها أنا أموت على عقيدة أمي): يعني: على الفِطرة، وهذا فيه إثباتٌ وشهادة من الجُويني على أن عامّة المسلمين هم على الفطرة ليسوا على عقيدة المُتكلِّمين، وهذا فيه ردٌّ على من يقول أن عامّة الأمة الآن على عقيدة الأشاعرة والماتُريدية، هذا خطأ، عوامُّ الناس على الفطرة.

النبي ﷺ قال: «**كل مولود يُولد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمجِّسانِه**» ما قال (أو يُسلِمانه)، وفي هذا ينصُّ أهل العلم على أن معنى **الفِطرة:** أن الإنسان يُولد سليمًا من العقائد الباطلة، فالذي على الفطرة لا يكون على عقيدةٍ فاسدةٍ وعقيدةٍ باطلةٍ.

(ويقول الآخر منهم)

وهذا هو "الغزالي أبو حامد الغزالي"، وهو من الأساتذة الكبار، وقد نَدَم بعد أن خاض في الفلسفة وتوغَّل في عِلم الكلام، ثم أيضًا خاض في التَّصوف خوضًا عظيمًا ثم بعد ذلك ندم من هذا كلِّه.

فيقول: (أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام)

لأنهم ليسوا على بيِّنة وليسوا على علمٍ فمن نشأ وعاش شاكًّا مترددًا بين قواعِدَ وغموض سيموت على هذا الظن وهذا الشَّك.

ثم قال ابن تيمية:

(ثم هؤلاء المتكلمين المُخالِفون للسلف إذا حَقَّق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالِص المعرفة به خبر، ولم يقعوا بذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجُوبون المُفَضَّلون المَنْقُوصُون المَسْبُوقُون الحَيَارَى المُتَهَوِّكُون، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السَّابقين الأوَّلين)

وهذه عبارة أدبية بليغة من الشيخ -رحمه الله-، وهو أديب وفصيح وبليغ، يقول كيف يكون هؤلاء على طريقة أعلم وأحكم من السلف وهم يموتون على الشك؟ وهم في ندم، وهم في حيرة؟ وقد ندم أساتذتهم ورؤسائهم الكبار.

(كيف يكونون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء والخلفاء والرُّسل وأعلام الهدى ومصابيح الدُّجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نَطق الكتاب وبه نطقوا)

هذه جملة بليغةٌ من الشيخ، يقول: (الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا) يعني أنهم عَمِلوا بالكتاب فتَلَوه وعَمِلوا بِه، وبهم نطَق الكتاب: أي بفضلهم والثناء عليهم، والثناء على الصحابة في القرآن: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

(الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما بَرزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلًا، عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حِكمة غيرهم إليها لَاسْتَحيَى من يطلب المقابلة.)

يعني لا مقارنة بين علم الصحابة وحكمتهم مع علم غيرهم وحكمته.

(ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته؟ مِن هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضُلاَّل اليهود والنصارى والصَّابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!)

لماذا قال: أفراخ المتفلسفة؟ لِم ذكر أصحاب الهند واليونان والمجوس والمشركين واليهود والنصارى والصابئين؟ لأنه سيذكر لنا أن هذه القواعد وهذه النظريات الذين أتى بها المُعطِّلة، هم

أخذوها عن هؤلاء، فالفلسفة وهذه النظريات التي قالوا بها إنما ورثوها عن هؤلاء كما سنعرف إن شاء الله كيف أخذ "الجهم بن صفوان" و"الجعد بن درهم" وأمثالهم هذه العقائد.

(وإنما قدمت هذه المقدمة)

مُقدِّمة، ومقدمة مهمة جدًّا، لأن ما بعدها مُترتِّبٌ عليها.

(لأن من استقرَّت هذه المقدمة عنده عَرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره)

إذا عرفت أن النبي ﷺ بيَّن هذا الباب، وإذا عرفت أن الصحابة عرفوا هذا الباب وهم أعرف الناس به، ماذا يكون؟ من أين نأخذ هذا الباب؟ من النبي ﷺ والصحابة.

(وعَلِم أن الضلال والتهُّوكَ إنما استولى على من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البيِّنات والهدى، وتركِهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرفه الله بإقراره على نفسه وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدًا معيّنًا؛ وإنما أصف نوعَ هؤلاء ونوعَ هؤلاء، وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامَّةُ كلام الصحابة التابعين ثم كلام سائر الأئمة، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر)

نصٌّ وظاهر، عندنا مصطلح النص ومصطلح الظاهر، ما المقصود بالنص؟ وما المقصود بالظاهر؟

- **النصّ:** هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد، يقولون: ما لا يحتمل غيرَه.
- **والظاهر:** هو الاحتمال الراجح.

يعني النص يحتمل معنيين أحدهما راجح والآخر مرجوح، فالظاهر هو الراجح، والآخر معنى ضعيف لا يُقال به ولا يُعمل به.

فالنص هو الذي لا يحتمل غيره؛ لا يحتمل إلا معنى واحد، والظاهر هو الاحتمال الراجح في النص الذي يحتمل معنيين: أحدهما راجح، والآخر مرجوح.

(مملوء بما هو إما نصٌّ وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلِيُّ الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء.)

بدأ -رحمه الله- يبيِّن أصلًا عظيمًا وهو: صفة العلو؛ لأن صفة العلو، هذه الصفة أدلَّتها أكثر من أن تُحصى، وأهل العلم خصُّوها بالتصنيف، كالذهبي له كتاب "العلو للعلي الغفار"، ابن القيم -رحمه الله- له "اجتماع الجيوش الإسلامية"، ابن قدامة له "رسالة في العلو"، أبو بكر بن أبي شيبة له "العرش" ذكر فيه هذا الدليل، وغيرهم من أهل العلم المتقدمين واللاحقين بهم.

الشاهد: أن هذه الصفة أدلتها كما صرح به بعض أهل العلم أنها أكثر من ألف دليل يدل على صفة العلو، وهذه الأدلة إما أنها نصٌّ على العلو لا تحتمل غير العلو، أو أنها ظاهر، فهي واضحةٌ وصريحة في بيان اتصاف الله عز وجل بالعلو وسيذكر أمثلة كثيرة إن شاء الله عز وجل.

لكن قبل أن نقرأ الأدلة، أهل العلم لمَّا تكلموا على صفة العلو يقسّمون صفة العلو لله عز وجل تارة إلى ثلاثة أقسام وتارة إلى قسمين، فقد يقولون:

- صفة العلو تنقسم إلى قسمين: علوّ الذات، وعلوّ الصفات.
- وتارة يقولون صفة العلو تنقسم إلى ثلاثة أقسام: علوُّ قدر، وعلوُّ قهر، وعلوُّ ذات.

المقصود أن هذا التقسيم نعرف من خلاله موطن الخلاف مع المعطِّلة والمخالفين في هذا الباب وهو: **علو الذات**، فالخلاف مع المخالفين والمنحرفين في هذا الباب هو في علوِّ ذاته جل وعلا، وإلا هم يُقرُّون بأن الله العليّ وله العلو؛ لكن يقصدون به علوّ الصفات لا علو الذات لا علو ذاته فوق العرش سبحانه وتعالى.

(مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾)

هذه الآية دليل على علو الله عز وجل، ما وجه دلالة هذه الآية؟ صعود الأعمال إليه سبحانه وتعالى ورفع العمل إليه؛ والصعود في اللغة العربية ما معناه؟ **الصعود:** يكون من الأسفل إلى الأعلى.

وقوله تعالى لعيسى: (﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾)

ما وجده دلالة الآية؟ الرفع؛ **والرفع:** يكون الأسفل إلى الأعلى.

وقوله جل وعلا: (﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾)

هنا هذه الآية من آيات العلو أيضًا؛ لكن ننتبه إلى قوله **"في"** ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ﴾. "في" هنا بمعنى: عَلى، كقوله جل وعلا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ﴾ ليس معناها ادخلوا داخل الأرض. وإنما سيروا على الأرض، على وجه الأرض.

وقول فرعون للسحرة لمّا تابوا: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾؛ ومعناه: على جذوع النخيل؛ ففي اللغة العربية هذا الحرف يأتي على أكثر من معنى من معانيه "عَلى".

وقوله: ﴿فِى السَّمَاءِ﴾؛ "السماء" تارةً تُطلق ويراد بهذا اللفظ: السماء العلوُّ، وتارة تُطلق ويراد بها هذه الأَجرام السماوية التي خلقها الله عز وجل وهي سبعُ سماوات، ومن مجيء السماء بمعنى العلو قولُ الشاعر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإِنْ كَانُوا غِضَابًا

إذا نَزل السماء: المطر يَنزِل من العلو، وهكذا، الشاهد أن هذه الآية دليل على علو الله سبحانه وتعالى.

(﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾)

والرَّفع يكون من أين؟ من الأسفل إلى الأعلى.

(﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾)

العُروج: هو الصعود، هذا دليل على علوِّ الله.

(﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾)

والعروج هو أيضًا الصعود.

(﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾)

الملائكة يخافون ربهم من فوقهم، الفوقية لا تكون إلا في العلوّ، "فوقَ" عكسُ وضدُّ "السُفل"، فيراد بالفوقية ماذا؟ العلوّ، وهذه من أصرح الآيات في علو الله عز وجل، الفوقِيَّة.

(﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ عرفنا أن "استوى" وردت في ستة مواضع ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾)

هذا الموطن السابع.

الاستواء كما عرفنا أنه بمعنى: عَلا وارتفع، قوله: ﴿اسْتَوَىٰ﴾ بمعنى عَلا وارتفع وصَعد واستقرّ، هذه هي الألفاظ الثابتة، أما تفسير المعطِّلة استوى بمعنى: استولى فهذا معنى باطل من وجوه كثيرة.

ابن تيمية ذكر في المجلَّد الخامس من "مجموع الفتاوى" الردُّ على هذه المقالة من عشرين وجهًا تقريبًا، وابن القيم في "الصواعق المرسلة" ردَّ هذه المقالة من أربعين وجهًا، فقولهم استوى بمعنى استولى باطل من وجوه كثيرة جدًّا، منها:

- **أولًا:** أن هذا خلاف النصوص، خلاف ظاهر النصوص.
- **ثانيًا:** أن هذا خلاف ما أجمع عليه السلف.
- **ثالثًا:** أن هذا خلاف مُقتضى اللغة العربية، لم يأتي في اللغة العربية استوى بمعنى استولى.
- **رابعًا:** أن هذا التفسير وهذا المعنى يلزَم منه لوازم فاسدةً كأن العرش كان عند غير الله فاستولى الله عليه، وليس لهم عليه أي دليل.

وهم استدلوا؛ يعني تركوا جميع النصوص التي جاءت مضطرِدةً في لفظ استوى ولم تأتي مرة واحدة بلفظ استولى، تركوها جميعًا وذهبوا إلى بيتٍ منسوب إلى شاعرٍ يقولون أنه "الأخطل"، والأخطل نصرانِيّ، عفوًا ليس هذا للأخطل، الأخطل بيته في مسألة الكلام:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

لكن ها هنا بيت ينسبونه يقولون، وهو غير معروف يعني قائله:

(قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَو دَمٍ مِهْرَاقِ)

قالوا هذا البيت دليلٌ على الاستيلاء، وهذا في الحقيقة باطلٌ، حتى استدلالهم بهذا البيت باطل، أبطله أهل العلم فقولهم: (استدلالًا بهذا البيت على أن استوى استولى) نقول لهم: البيت جاء فيه استولى ما جاء استوى، ما يصلح الاستدلال أصلًا بالبيت:

- **أولًا:** جاء بلفظ استولى ليس استوى لكي تفسرون به استوى هذا أولًا.
- **وثانيًا:** هذا البيت على فَرَض أنه يدلّ على معنى الاستيلاء، هذه الشواهد الشِعرية التي يُستشهد بها لا بد أن تكون قبل المائة وخمسين للهجرة؛ لأن بعد المائة وخمسين للهجرة اتفق العلماء على فُشُوّ اللَّحن وأن الأبيات الشعرية لا يُستشهد بها بعد المائة والخمسين.

- **ثالثًا:** إن هذا البيت قد يكون صحيحًا في الدلالة على معنى استوى بعلا وارتفع وصعد واستقرّ ليس بمعنى استولى؛ لأن الملِك إذا استولى على بلدٍ يجلس على عرشه ويعلو عليه ويعلو على كرسيّه وعرشه، فصار معنى هذا البيت ليس استولى وإنما على المعنى الذي قرره العلماء في الآيات بمعنى علا وصعد وارتفع فهو قد ارتفع.

(قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَو دَمٍ مِهْرَاقِ)

فمعناه الصحيح هو أن (استوى) في هذا البيت بمعنى: ارتفع وليس استولى.

(﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾)

ما وجه دلالة هذه الآية على العلو؟ فرعون يقول لوزيره هامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ يعني: برجًا عاليًا لكي أطَّلع إلى إله موسى، هذا دليل على أن موسى قال لفرعون أن الله في السماء، فقال فرعون ابنوا لي بنيانًا لكي أرى هذا الإله الذي في السماء، فهذا دليل على أن موسى قرَّر لهؤلاء الكفار أن الله في السماء، وليس هو فرعون الذي يزعم أنه هو الإله.

(﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾)

ما وجه دلالة هذه الآية على العلو؟ قوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾ فالقرآن نزل من عند الله، والنُّزول يكون من العلو، و كذلك قوله: (﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾)

(إلى أمثال ذلك ممَّا لا يكاد يُحصى إلا بكَلَفة)

يعني آياتٌ كثيرة تدلّ على علو الله عز وجل، إمّا أنها نصّ وإما أنها ظاهر على إثبات علو الله بذاته فوق العرش.

(وفي الأحاديث الصِّحاح والحِسان ما لا يُحصى إلا بِالكَلَفة)

الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ كثيرة جدًّا في بيان علو الله عز وجل، ومن المعلوم الذي يُقرِّره أهل العلم في باب السُّنة: أن السُّنة على ثلاثة أنواع: سُنَّة قولية وسُنَّة فعلية وسُنَّة تقريريَّة:

- **سُنَّة قولية:** بمعنى أن النبي ﷺ يقول قولاً، فأقواله هذه سُنَّة قولية.
- **وسُنَّة فعلية:** هي أفعال النبي ﷺ.
- **وسُنَّة تقريريَّة:** هي أن يُفعَل شيء أمامه فيُقِرُّه.

صفة العلوّ جاءت ثابتة من هذه الوجوه الثلاثة كما سنرى.

(مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربِّه)

قصة الإسراء والمعراج أصلٌ عظيم في إثبات كثير من الصفات منها:

- أوَّلاً **العلو**، لماذا؟ كيف استدللنا بقصة الإسراء والمعراج على العلو؟ ما رأيكم؟ أين عُرج النبي ﷺ؟ أين عُرِج به؟ عُرج السماوات إلى سِدرَة المنتهى، ثم كلَّم الله عز وجل وفرض عليه الصلاة، وهذا صريحٌ وواضح ونصٌّ لا يحتمل غير إثبات علو الله فوق العرش.
- أيضا في قصة الإسراء والمعراج إثبات صفة **كلام الله** عز وجل؛ لأنه كلَّم النبي ﷺ وفرض عليه الصلوات.

(ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه)

وهذا جاء في أحاديث كثيرة أن الملائكة تنزل وتصعد وهكذا.

(وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فيَعرُج الذين باتوا)

يعني يصعَدون.

(فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربِّهم فيسألهم وهو أعلم بهم. وفي الصحيح في حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**»)

(وأنا أمين من في السماء) يعني من هو فوق السماء وعلى السماء كما عرفنا، وهذا من سنة النبي ﷺ القولية في إثبات علو الله عز وجل.

(وفي حديث الرُقية الذي رواه ابو داود وغيره: «**ربُّنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حَوْبَنا وخطايانا أنت رب الطيّبين، أنزل رحمةً من رحمتك، وشفاءًا من شفائك على هذا الوَجَع**». قال رسول الله ﷺ: «**إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخٌ له فليقل ربُّنا الله الذي في السماء...**» إلى آخره وذَكره)

فهذا الحديث من سنة النبي ﷺ القولية في إثبات صفة العلو.

(وقوله في حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه**» رواه أحمد وابو داود وغيره.

وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «**أين الله؟**» قالت: «**في السماء**». قال: «**من أنا؟**» قالت: «**أنت رسول الله**». قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»)

حديثُ الجارية من أي أنواع السنة على إثبات العلو؟ تقريرية، أقرَّها، قالت (في السماء) فأقرها ﷺ وهذا الحديث دل على فوائد كما نبه عليه الذهبي في العلو فقال دل على فوائد منها:

- **الفائدة الأولى:** جواز السؤال عن الله بـ: (أين الله؟) جواز هذا السؤال؛ لأن من الناس من يقول لا يجوز أن تسأل هذا السؤال أين هو؟ فهذا الحديث وهو في صحيح مسلم دليل على أنه يجوز هذا السؤال.
- **الفائدة الثانية:** جواب هذا السؤال: أن الله في السماء.

(وقوله في الحديث الصحيح: «**إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**»)

قوله عند الله فوق العرش هذا اثبات علو الله فوق عرشه سبحانه وتعالى.

(وقوله في حديث قبض الروح: «**حتى يُعرَج بها إلى السماء التي فيها الله تعالى**»)

وهذا لا شك انه صريح، ونصٌّ لا يحتمل غيره في إثبات علوّ الله على عرشه سبحانه وتعالى علوه بذاته.

(وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده للنبي ﷺ وأقرَّه عليه)

أقرَّه: سُنة تقريرية.

(شَهِدتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقّ   وأنّ النَارَ مَثْوَى الكَافِرِينَا

وأنّ العَرْش فَوْقَ المَاء طَافٍ   وفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا)

فأقرّه.

(وقول أمية ابن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: **«آمن شِعره وكَفر قلبه»)**

لأنه لم يؤمن، قال:

(مَجِّدوا اللهَ فَهوَ لِلمَجدِ أَهلُ   رَبُّنا في السَماءِ أَمسى كَبيرًا)

هذا الشاهد أثبت أن الله في السماء.

(بِالبِنَاءِ الأَعلى الَذي سَبَقَ الناسَ   وَسَوَّى فَوقَ السَماءِ سَريرًا

شَرْجَعًا لا يَنالُهُ بَصَرُ العيْنِ   تَرى دونَهُ المَلائِكَة سورًا)

معنى **شرجعًا** يعني: مرتفعًا.

(وقوله في الحديث الذي في المُسند)

وهذا الحديث رواه أصحاب السنن إلا النَّسائي، وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في "الفتح" وصحَّحه الألباني رحمه الله.

(**«إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرُدَّهما صِفرًا»**، وقوله في الحديث: **«يمد يديه إلى السماء، يقول: يا ربّ يا ربّ...»** إلى أمثال ذلك)

قوله: (يمد يديه إلى السماء)، ما وجه دلالته على العلو؟ رفع اليدين إلى السماء، وهذا فيه إثبات علو الله عز وجل؛ وليس كما يقول بعضهم أن قِبلة الدعاء السماء هذا غير صحيح؛ بل قِبلة الدعاء هي قِبلة الصلاة، لكن هذا فيه إثبات علو الله تبارك وتعالى.

(إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله)

كلها إما نصٌ وإما ظاهرٌ في إثبات صفة العلو.

(مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية)

أحاديث متواترة صحيحة ثابتة قطعًا.

(التي تورث علمًا يقينًا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المُبلّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته)

حتى اليهود والنصارى يُثبتون علوَّ الله، حتى اليوم في أناجيلهم وفي كُتبهم المقدسة التي بين يديهم اليوم، المُحرَّفة فيها إثبات علو الله تعالى؛ إلا هؤلاء الجهمية والمعطلة هم الذين أتوا بهذا التعطيل.

(ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو لو جمع لبلغ مئين أو ألوفًا)

يعني كلام السلف في إثبات علو الله تبارك وتعالى.

(ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصًا ولا ظاهرا)

يعني لا تجدُ بدعة في باب الصفات ثابتة عن صحابي ولا تابعي أبدًا، هذه إنما أتت بعد ذلك.

(ولم يقل أحد منهم إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته في كل مكان)

يعني كمقالات هؤلاء المتأخرين والمتكلمين.

(ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه)

وهذي مقالة من مقالات غُلاة الجهمية.

(ولا أنه لا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها)

وهذا يعني من غلوِّهم في إنكار علو الله عز وجل بذاته فوق عرشه، بعضهم يقول لا يجوز أن تشير إلى السماء، مع أن الإشارة ثابتة عن النبي ﷺ في مواطنَ كثيرة.

(بل قد ثبت في الصحيح عن جابر ابن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلغت؟**» فيقولون: (نعم) فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: «**اللّهم اشهد**» غير مرة وأمثال ذلك كثير)

هذا الحديث دليلٌ على علو الله بالسُّنة، أي نوع من أنواع السنة؟ الفعلية، تقدم معنا السنة القولية والتقريرية في إثبات العلو وهذا دليل على علو الله بالسنة الفعلية، فالنبي ﷺ أشار، وأقرّ الجارية بالإشارة إلى السماء.

(فلئن كان الحق ما يقول هؤلاء السالمون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يُفهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط؟)

لو كان التعطيل هو الحق، ثم نجد ان الصحابة لا يتكلمون به يكون الصحابة ماذا؟ كتموا الحق وهذا يعني لازمٌ فاسد.

(ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلُّون عليه لا نصًّا ولا ظاهرًا حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يُبيّنون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلَّف أو كل فاضل أن يعتقدها)

لأن هؤلاء أخذوا عقيدتهم عن هؤلاء وأكثر المبتدعة هم من الأعاجم ليسوا من العرب الذين هم من المهاجرين والأنصار أو أحفادهم أو نسلهم أو ذريتهم، إنما هم أعاجم من هنا وهناك أسلموا وما فهموا الإسلام وبقيت عندهم رواسب وعقائد فاسدة فعلى أيديهم جاءت هذه البدع.

(لئِن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة نصًّا أو ظاهرًا لقد كان تَرك الناس بلا كتاب ولا سُنّة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسُّنة ضررا محضًا في أصل الدين)

يعني إذا كان المُراد بنصوص الكتاب والسُّنة خلاف ما كان عليه النبي ﷺ والصّحابة لكان يعني الأولى ألا يُنزِل الله عز وجل لا كتابًا ولا سُنّة، وهذا من اللوازم الفاسدة المترتبة على مقالة هؤلاء

المتأخرين المخالفين أن (طريقة الخلف أعلم وأحكم)، إذا كانت طريقة الخلف أعلم وأحكم إذًا ما فائدة أن الله عز وجل يُنزل كتابًا؟

وهم من أين حصلوا على هذه النتيجة (أعلم وأحكم)؟ ما هو مستندهم ومصدرهم؟ العقل، إذًا لو أن الله عز وجل ترك الناس لعقولهم ولم يُنزل عليهم كتابًا يقول لكان أهدى صح؟ إذًا كان يلزم هذا اللازم الفاسد لهذه المقالة، ودائما المقالات الفاسدة تلزم منها لوازم فاسدة.

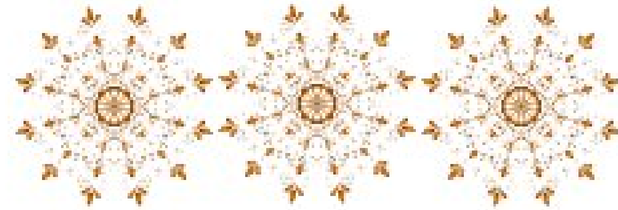
(فإن حقيقةَ الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقُّه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السُّنة، ولا من طريق سلف الأمة)

يعني: إذا تقرر عندنا أن طريقة الخلف أعلم وأحكم. إذن لا نرجع لا للكتاب ولا السُّنة ولا إلى سلف الأمة.

(ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًا له من الصِّفات فصفوه به، سواءً كان موجودًا في الكتاب والسُّنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقًّا له في عقولكم فلا تصفوه به)

يعني: نحكِّم العقل، نجعل العقل هو الحَكَم، حتى صرَّح بعضهم فقال من المعتزلة: (العقل يكون حاكمًا على النقل)؛ يعني: حاكماً على الشريعة حاكم على نصوص الكتاب والسُّنة، فما أثبته العقل أثبتوه وما نفاه ينفونه، إذن ما فائدة الوحي؟ وما فائدة الكتاب والسُّنة؟

نتوقف عند هذا، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الـدَرسُ الثالِث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أخذنا في اللقاء السابق ما يتعلق بموضوع هذه الرسالة الحموية وسبب تأليفها، وأنه قد ورد سؤالٌ من حماة إلى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، وهذا السؤال يسأل عن توحيد الأسماء والصفات ونصوص الصفات، فجاء جواب الشيخ -رحمه الله- جوابًا وافيًا مسدّدًا ابتدأ فيه بيان كمال هذا الدين والتنبيه على أصول مهمة.

- أولها: بيان النبي ﷺ لباب الصفات وأنه يستحيل أن نبينا ﷺ يموت وقد ترك الأمة بلا بيان لهذا الباب، فهذا مستحيل عقلًا وشرعًا أن يكون النبي ﷺ ترك الأمة بلا بيان لهذا الباب؛ باب الصفات.
- ويستحيل أيضًا أن يكون الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- قد قصَّروا في هذا الباب، مستحيل أن يكون الصحابة قصَّروا في تعلم هذا الباب، ومستحيل أيضًا أن يكون الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- قد قصَّروا في بيان هذا الباب، وفي رواية ما جاءهم عن النبي ﷺ في هذا الباب.
- ثم بناءً على ذلك تكون النتيجة أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، وأما مقالة أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فهذه مقالة باطلة أبطلها شيخ الإسلام -رحمه الله- وبيَّن أن هؤلاء الذين قالوا هذه الكلمة إنما اعتقدوا أن السلف لم يفهموا نصوص الصفات، وأن السلف -رحمهم الله- كانت عقيدتهم عقيدة المفوضة حاشاهم. وبنوا أيضًا على ذلك اعتقاد أن طريقة الخلف المبنية على القواعد الكلامية التي منهجها ومسلكها التأويل أنها أعلم وأحكم، وهذا لا شك أنه باطل، بل طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، وليس طريقة السلف لا طريقة المفوضة ولا طريقة المؤولة.

ثم بين -رحمه الله- هذا الباب إلى أن وصلت بنا القراءة إلى قوله: (ثم هم هاهنا فريقان) وهذا في صفحة مائة وثمانية.

يعني كل ما تقدم قد قرأناه لما ذكر -رحمه الله- بعض النصوص عن علماء أهل الكلام وتأسفهم وندمهم أنهم خاضوا في باب الكلام وبيَّن بهذه النُقولات انحراف من سلك سبيله إلى أن قال: (ثم هم هاهنا فريقان)

(ثم هم هاهنا فريقان)

يعني هؤلاء المُؤَولة أو عموم المتكلمين الذين أعملوا قواعد علم الكلام هم ها هنا فريقان.

نحن تَقرر عندنا ما يتعلق بعلم الكلام وما يُقصد به. **علم الكلام:** يُقصد به علم المنطق، هذا العلم الموروث عن الفلاسفة في الحقيقة، وهناك فرقٌ لا بد من معرفته وهو الفرق بين الفلاسفة والمتكلمين:

- **الفلاسفة:** هم أصلًا قوم كفّار لا يعتمدون إلا على العقل لا يعتمدون على شيء من نصوص الوحي.

- جاء بعض المنتسبين إلى الإسلام وظنوا أنه لا بُد من الدمج والتوفيق بين هذه القواعد الكلامية العقلية الفلسفية والنصوص الدينية، هم في بداية أمرهم كان عندهم تقصير كبير جدًّا في علوم الشريعة وعلى وجه الخصوص علم الكتاب والسنة، هؤلاء **المتكلِّمين** سواء كانوا جهمية أو معتزلة كان عندهم تقصير عظيم مثل "الجهم بن صفوان" مثل "واصل بن عطاء"، عندهم تقصير كبير في علم الكتاب والسنة وناظروا الملاحدة وسيشير إن شاء الله ابن تيمية إلى مُناظرة "الجهم بن صفوان" السُّمَنِيَّة من الفلاسفة، لما كان عندهم تقصير في علم الكتاب والسنة ظنوا أنه لا يصح الاستدلال بالكتاب والسنة على إثبات وجود الله عقلًا وعلى إعمال القواعد العقلية.

مع أن الله عز وجل في القرآن ذكر قواعد عقلية كثيرة للرد على من ينكر وجود الله، مثل قوله جل وعلا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، هذا دليل عقلي يرد به على الملاحدة الذين لا يثبتون وجود الله.

هؤلاء لما انهزموا أمام هؤلاء الملاحدة الذين لا يؤمنون بوجود الله عز وجل ظنوا أنه لا يصح الاستدلال عليهم إلا بالقواعد العقلية؛ فخرجوا بعلم الكلام الذي عرَّفوه، وممن عرَّفه واعتمدوا هم تعريفه "الإيجي"، "الإيجي" له كتاب اسمه المواقف، والإيجي من مُتأخِّرِيّ الأشاعرة وكتابه معتمد عندهم. يقول: (علم الكلام -عرَّفه هكذا-: علمٌ يُقتَدر معه على إثبات العقائد الدينية بالبراهين العقلية)، قال: (معه) لا به، بناء على قاعدة الأشاعرة في إنكار العلل والأسباب.

قال: (علمٌ يُقتَدر معه على إثبات العقائد الدينية بالبراهين العقلية) وسموها براهين، وهي ليست براهين، قواعد عقلية! فحقيقة علم الكلام هو الاستدلال على العقيدة بالقواعد العقلية، ليس بالنصوص.

فلما قدَّسوا العقل انقسموا إلى فريقين كما يقول هنا ابن تيمية، هم جعلوا المقياس العقل؛ فما أثبته العقل أثبتوه وما نفاه العقل نفوه، وهذا في الحقيقة أنه مشابه للكفار الذين لم يحكِّموا كتاب الله ولم يتحاكموا إلى كتاب الله.

طيب الآن ما أثبته العقل أثبتوه وما نفاه نفوه، طيب ما لم يثبته العقل وما لم ينفه العقل ماذا نفعل به؟ هنا انقسموا إلى فريقين؛ قال: (ثم هم هاهنا فريقان أكثرهم يقول ما لم تثبته عقولكم فانفوه، ومنهم من يقول بل توقفوا فيه)

عرفنا الآن نحن ذكرنا هذه المقدمة لكي نصل إلى الحديث السابق بما سيأتي، فهم الآن عندهم قاعدة وهي: (أن العقل هو المقياس فما أثبته وأثبتوه وما نفاه العقل نفوه)، الذي لم يثبته العقل ولم ينفهِ العقل وهذا كثيرٌ أصلًا، الكمال والتمام في شريعة الله ليس في العقول.

(أكثرهم يقول ما لم تثبته العقول فانفوه، ومنهم من يقول بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلافٍ على وجه الأرض فانفوه)

الآن هم مختلفون مضطربون اضطرابًا كبيرًا جدًّا، لماذا؟ هؤلاء المتكلمين الذين قدسوا العقل لأن العقول تتفق، العقول تختلف وتتفاوت! ولذلك لا يُعتمد عليه في كل شيء، العقل له منزلة عند السلف وفي هذه الشريعة، والسلف -رحمهم الله- مذهبهم وسطٌ في منزلة العقل:

- ليسوا مع المتكلمين الذين قدسوا العقل وجعلوه حاكمًا على الشريعة، هم الآن جعلوا العقل حاكمًا على الشريعة؛ فما أثبته العقل أثبتوه، وما نفاه العقل نفوه ولو أتت به الشريعة، فهذا طرفٌ.
- هناك طرف أخر ألغوا العقل وهم الصوفية، ألغوا العقل تمامًا كما هو معلوم.

والسلف وسط بين الفريقين، جعلوا العَقل تابعًأ للشرع، وجعلوا العقل شرطًا من شروط التكليف.

الآن أنتم تدرسون الفقه والأحكام تعلمون أن من شروط التكليف العقل، المجنون لا يُكلَّف، هذه هي منزلة العقل الحقيقية، لا أن يكون العقل مقدَّسًا فما أثبته العقل أثبته الناس وما نفاه العقل نفاه الناس؛ بل سبب هذه القاعدة هو كما بيَّن الآن الشيخ، أنهم مختلفون مضطربون اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض؛ بل حتى أنهم اختلفوا في تعريف العقل، حتى يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (من قرأ كلامهم في تعريف العقل يمكن يصبح مجنون)، من كثرة التعريفات التي نقلوها في تعريف العقل، ما هو العقل، في الحقيقة أن الشيء المعروف لا يُعرَّف.

(فانفوه وإليه عند التنازع فارجعوا فإنه الحق الذي تعبَّدكُم به وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه؛ لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين)

هذا هو حقيقة مذهب المتكلمين أنهم وقفوا مع العقل وجعلوه هو الحاكم على نصوص الوحي، فما أثبته أثبتوه وما نفاه نفوه، فإما أن يؤوِّلوا النصوص ويحمِّلوها ما لا تحتمل أو يثبتوا الألفاظ ويسكتوا عن المعنى ويفوِّضون المعاني إلى الله، وهذه الحقيقة -سبحان الله- تجعل أن القرآن كأنه نزل امتحان لا هدى للناس، هذا لازِمُ مقالتهم.

(وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم مثل الرازي، الرازي في المطالب العالية صرَّح بهذا الكلام أن العقل حاكم على الشريعة وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيد عنه)

يعني: حتى الذين لم يصرِّحوا يلزمهم هذا على قاعدتهم.

(ومضمونه أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول ﷺ معزولٌ عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول؛ بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبَرَاهِمَة)

البراهمة طائفةٌ من كفار الهند، فلاسفة الهند، ونحو ذلك مثل الهندوس ونحوه

(والفلاسفة والمشركون والمجوس وبعض الصابئين. وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شِدَّة) الآن الشيخ ردَّ عليهم بردٍّ مُفحم وهو هذه الإلزامات الكثيرة التي تلزم مقالتهم.

(هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة، ولا يرتفع به الخلاف) لأنهم أهل عناد وتعصب.

(إذ لكل فريقٍ طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أمروا أن يكفروا بهم، وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾) إلى آخر الآيات.

هذا الحال من هؤلاء المُتكلِّمين المُتكلِّفين، كلام الشيخ هنا فيه التنبيه على وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة ليس فقط في الأحكام العَمَلية بل حتى الأحكام العِلمية: العقيدة؛ بل هذا أولى. وهؤلاء

المتكلمين تجد أنهم يتبعون مذاهب فقهية مُعتبرة، مثل: الشافعية، أو المالكية، أو حتى الحنابلة. ثم إذا جاءوا إلى مسائل العقيدة لا، يحكمون العقول مع أنهم في الفقه يتحاكمون إلى نصوص الكتاب والسنة.

أورد الشيخ هذه الآية للتنبيه على هذه القضية ولما لهذه الآية من سبب في ورود نزولها، هذه الآية فيها الأمر بوجوب التحاكم إلى كتاب الله عز وجل، وسببها هو: تخاصم اثنان يهودي و منافق، فقال اليهودي: نذهب نتخاصم ونرفع أمرنا إلى محمد؛ لأن اليهودي يعرف أن محمد لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: لا؛ نذهب إلى كعب ابن الأشرف، وهذا سيّدٌ عند اليهود، يُعرف أن كعب ابن الأشرف يأخذ الرشوة؛ فنزلت هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾

هذه الحال مثل حال هؤلاء المتكلمين، إذا قيل لهم: قال الله قال رسوله، يذهبون إلى قواعد العقل وقواعد الفلاسفة الذي أتوا بها من خارج الوحي.

(﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾)

فصار ذلك اتخاذًا للطاغوت من هؤلاء المتكلمين؛ لكن هذا في حقيقة التحاكم للطاغوت لا شك أنه من أنواع الكفر؛ لكن أهل العلم لم يكفِّروا عامَّة المتكلمين لقيام مانعٍ من موانع التكفير ألا وهو شُبهة التأويل؛ لأنه كما هو معلوم بالنسبة لأعيان الناس هناك ضوابط لتكفير المُعيَّن لا بد من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع؛ لكن مقالاتهم لا شك أنها مقالات كُفرية.

وبهذا نعلم أن أهل العلم إذا أطلقوا الحُكم على مقالةٍ من المقالات بأنها كفر، أو الحكم على طائفة وفرقة بأنها فرقة موصوفة بالكفر لا يعني هذا تكفير جميع أعيان هذه الفرقة أو تكفير جميع من قال بهذه المقالة؛ لأنه هناك فرق بين التكفير العام وتكفير المُعيَّن، فرق بين القول والقائل والفعل والفاعل كما تعلمون، وهذه من أصول أهل السنة التي فارقوا فيها الخوارج.

(فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول ﷺ -والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته- أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملًا بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية)

هذه طريقة المتكلمين والفلاسفة؛ هذه طريقة المتكلمين كما عرفناه: الاستدلال بالقواعد العقلية على العقائد الدينية، وزعموا أنهم بهذه الطريق يوفِّقون بين العقل والنقل، أما الفلاسفة الأوائل فلا عبرة عندهم ولا اعتبار لنصوص الوحي أصلًا، إنما التقديس عندهم والأساس هو العقل.

(ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلَّدوا أكثرها من طعن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين أو بعض ورثتهم، الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان أو عمَّن قال كقولهم لتشابه قلوبهم، أعني: فلاسفة الهند واليونان كأرسطو)

و"أرسطو" هذا يسمونه المعلم الأول في مدرسة الفلاسفة.

(ونحوه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾)

سبحان الله! المتكلمين شابهوا كثيرًا من الكفار، وسلكوا سبيل كثيرٍ من المنحرفين الضالين الذين نهانا الله عز وجل بالقرآن أن نفعل كأفعالهم أو نسلك سبيلهم، فنجد من تأمل ما نهى الله عز وجل عنه في القرآن ثم قارن ما عليه مذاهب المتكلمين نجد موافقة فرق المتكلمين لكثير مما نهى الله عز وجل عنه في القرآن، وهذا عنوان رسالة ماجستير في قسم العقيدة بالمدينة بالجامعة الاسلامية نوقِشت قريبا لأحد الطلاب ولم تُطبع الرسالة حتى الآن وهي موافقة مذاهب المتكلمين لما نهى الله عز وجل عنه في القرآن، وهي من أجود الرسائل التي نوقشت قريبا.

قال الله عز وجل: (﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾)

(ولازم هذه المقالة)

الآن يلزم على هذه المقالة لوازم فاسدة كثيرة، والقول إذا كان حق يلزم منه حق وإذا كان باطل يلزم منه باطل، **لازِمُ الحق حق ولازم الباطل باطل، هذه قاعدة مضطردة،** فهذا القول يلزم منه لوازم باطلة وهذا دليل على بُطلانه.

(لازم هذه المقالة ألا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازل)

هذه خمس صفاتٍ للقرآن، الله عز وجل وصف القرآن بهذه الصفات، القرآن موصوف بأنه: هدى للناس، وموصوف بأنه بيانٌ للناس، وموصوف بأنه شفاءٌ لما في الصدور، وموصوف بأنه نور، وموصوف بأنه مَردٌّ عند التنازع.

لازم مقالة المتكلمين في تقديس العقل هو أن القرآن ليس له من هذه الصفات شيء، إذا كنا نقدس العقل ونثبت ما أثبته وننفي ما نفاه ونجعل العقل حاكما على القرآن إذًا القرآن لا يوصف بهذه الصفات.

(لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقول هؤلاء المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب ولا السنة لا نصا ولا ظاهرا وإنما غايةُ المُتحَذلِق)

المُتَحَذْلِق: الذي يُظهِر أو يدَّعي الحِذْق وهو ليس بِحاذِق، مثل المُتعالِم.

(وإنَّما غايةُ المُتَحَذْلِق منهم أن يستنتج من هذا من قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾)

يعني جاءوا إلى النصوص التي فيها تنزيه الله عز وجل فعطَّلوا بها صفات الله تبارك وتعالى، ورَدُّوا جميع الآيات التي فيها إثبات صفات لله عز وجل.

(وبالاضطرار يَعلم كلُّ عاقل أن من دلَّ الخَلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ لقد أبْعَد النُّجْعَة وهو إمَّا مُلْغِزٌ، وإمَّا مُدلِّسٌ لم يُخاطبهم بلسانٍ عربيٍّ مُبين، ولازِمُ هذه المقالة أن يكون تَركُ الناس بِلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينِهم، لأن مردَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد)

واحد وهو ماذا يعني؟ العقل، إذا كان العقل موجودًا قبل الرسالة وهو حاكمٌ على الرسالة، إذًا لا داعي للرسالة، لماذا أنزل الله الكتب؟ لماذا ما ترك الناس على عقولهم؟

(وإنَّما الرسالة زادتهم عمًى وضلال. يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر؟ ولا أحدٌ من سَلَفِ الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقِدوا ما دلَّت عليه)

يعني ما دلَّ عليه ظاهرها، كما يقول هؤلاء المُتكلِّمين.

(لكن اعتقِدوا الذي تقتضيه مقاييسُكم أو اعتقِدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالَفهُ ظاهِرُه، فلا تعتقِدوا ظاهِرَه وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقِدوه وما لا؛ فتوقفوا فيه أو انفوه، ثم الرسول ﷺ قد أخبرنا أن أُمَّته ستفترق ثلاثًا وسبعين فِرقة فقد علِم ما سيكون)

النبي ﷺ صحَّ عنه بألفاظ كثيرة هذا الحديث "حديث الافتراق"، وأن هذه الأمة ستفترق، هذا إخبارٌ بما سيكون صح؟ إخبارٌ بما سيكون، إخبارٌ بشيء من الغيب في المستقبل، والله عز وجل أخبر نبيَّه ﷺ بشيء من المستقبل، لماذا؟ الله عز وجل يُطلِع رسوله ﷺ على شيء من غيب المستقبل لِحكمة ومصلحة، وهي من أجل أن يُعلِّم الناس دينهم، ومصالحهم وسبيل نجاتهم، فالنبي ﷺ بيَّن أن الأمة ستفترق ثم بيَّن طريق النجاة من هذا الافتراق والهلاك، وهو ماذا؟ قال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله**» فبين أن هناك هلاك وافتراق، وأن الفرق ثلاثة وسبعين كلها في النار إلا واحدة، وبيَّن أن هذه الواحدة هي المتمسِّكة بالكتاب، هل دلَّهم على العقل؟ الجواب: لا.

(ورُوي عنه ﷺ أنه قال في صفة الفرقة الناجية: «**هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»)

هل الصحابة كانوا أهل قواعد عقلية ومنطق وفلسفة ونحو ذلك؟ أبدًا.

(فهلا قال من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال؟)

هل النبي ﷺ قال هذا؟ النبي ﷺ هل قال: لا تتمسكوا بظاهر القرآن؟

(وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين)

يعني فتنة الفلسفة والمنطق والقواعد العقلية.

(ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ)

من هنا بدأ المصنف -رحمه الله- في بيان سندِ مقالة التعطيل، من أين جاءت هذه المقالة؟ وهذا وجه من أوجه الردِّ عليه: إذا عرفت أصل مقالتهم؛ معرفة أصل مقالتهم كافٍ في ردّها، كما سيبين الشيخ.

(إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلاّل الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام، أعني أن الله ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى استولى ونحو ذلك.

أول ما ظهرت هذه المقالة من الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل:)

هذا الآن سند مقالة التعطيل

(إن الجعد أخذ مقالته عن أبان ابن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم. وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم [اليهودي] الساحر الذي سحر النبي ﷺ)

عقيدة هذي سندها وهذا مصدرها، هذا شيء كافٍ في ردها.

(وكان الجعد هذا -فيما قيل- من أهل حرَّان)

دائمًا إذا جاءت فكرة او مقالة عن شخص؛ لابد أن ندرس شخصية هذا الشخص وسيرته، هل هي سيرة حميدة؟ او غير ذلك؟ هذا مما يبين لك هل ما يقوله حق أو باطل؟

(كان الجعد هذا -فيما قيل- من أهل حرَّان، وكان فيهم خلقٌ كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنَّف بعض المتأخرين في سحرهم)

النمرود: هو الذي ناظره إبراهيم عليه السلام ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذى حاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ أَن آتاهُ اللَّهُ المُلكَ﴾

وكان طاغية، كافر بالله عز وجل إلى آخر ذلك.

(والكنعانيين الذين صنَّف بعض المتأخرين في سحرهم)

يعني الشيخ بهذا الذي صنف في سحرهم: "الفخر الرازي" صاحب "التفسير الكبير" المعروف ب"مفاتيح الغيب"، حصلت عنده أفكار كثيرة، ومن درس كتبه وسبرها يعرف أنه حصل عنده اضطراب شديد كبير وتبنَّى مقالات متناقضة، وهو من متأخِّري الاشاعرة، وهو ممن قال بالتعطيل، وقد حكى -قرأنا في المجلس السابق-: ندمه على سلوك هذا السبيل.

لكن العجيب أنه أجاز السِحر وصنَّف كتابًا في السحر، وفي تفسيره بيَّن جواز السحر، بل جواز التقرُّب إلى القبور والأضرحة والأولياء والذبح عندها ودعائها، وكل من هذا الفعل الذي عند القبور والسحر: شرك أكبر من نواقض الإسلام.

لكن في الحقيقة بعض الناس تكون عنده شبهات، وانا أعرف ساحرًا تائب قابلته في أفريقيا، يقول: كنت أفعل السحر وعندي شُبهة أنه ليس كل السحر حرام، يقول: كنت أعرف أن هناك سحر -يقول

هكذا تعلَّمنا- سحرٌ حلال وسحرٌ حرام يقول: هكذا علمونا -جهل- ولبَّسوا علينا بشبهة ألا وهي: أن السحر الحلال هو الذي كان عند سليمان؛ لأن سليمان كانت تخدمه الجن فنحن نستخدم الجن كما استخدمهم سليمان، هذه الشبهة التي عند كثير من السحرة اليوم. لكن هذا باطل، سليمان نبي الله عز وجل سخر له الريح والجن والطير، وهذه معجزات ليست سحرًا. ثم تبيَّن لهذا الساحر، يقول لي: ثم تبين لي أن هذا باطل، وتاب إلى الله عز وجل، لكن ليست هذه هي الشبهة التي عند الرازي.

الرازي عنده شبهة وهذه الشبهة موجودة عند كثير من الناس، وهذا صرَّح به الرازي لما ذكر جواز السحر وجواز التقرب إلى الأضرحة والأولياء، قال: لأننا جربناها فنفعت، يعني: الدليل على جوازه التجربة. وهذا لا شك أنه باطل، يعني يقول جربناها فنفعت، يعني شخص مريض عملنا له سحرًا شفاه الله عز وجل بعد السحر، مريض ذهب إلى قبر الشيخ فلان ذبح عنده ذبيحة شفاه الله عز وجل... إذن كل ما ثبت نفعه جائزٌ عندهم، كل شيء يُجرَّب فينفع يجوز، وهذا ولا شك أنه من أبطل الباطل.

هذا مُصادمٌ لأصل الرسالة، هذا مُصادمٌ لأصل التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، لكن هذه شبهة. ونرجو أن الرازي -رحمه الله- تاب من هذا وتراجع عنه كما تراجع عن علم الكلام.

على كلِّ حال قوله (الذي صنّف بعض المتأخرين في سحرهم) هو ماذا؟ الرازي، وشبهة الرازي هي أنه يقول: (جُرِّب فنفع) وهذه الوسيلة، أو هذه الذريعة وهذا المبدأ الذي هو (ما ثبت نفعُه بالتجربة أنه يجوز) هذا يدخل على كثير من الناس والرُّقاة، بعض الرُّقاة يخترع طُرق في الرُّقية فيقول جرَّبناها فنفعت، ولذلك يُنبِّه أهل العلم على أمر وهو **أنَّ الرُّقية دُعاء والدُّعاء عبادة والعبادة مبناها على التَّوقيف**، أما الدواء وما يصنعُه الأطباء فهذا مبني على التَّجربة، الدواء نعم علمٌ تجريبي، أمَّا الرُّقية فدعاء والعبادة توقيفية، ففرقٌ بين الأمرين، لكن حتى الدواء لو كان الدواء بِشيء مُحرَّم شرعًا مثًلا: ثبت أن المرض الفلاني دواؤه أكل لحم الخنزير، هل يجوز؟ لا يجوز، لو أن هذا المرض دواؤه شرب الخمر، لا يجوز، كذلك من باب أولى لو كان هذا المرض وجدنا أن بواقع التجربة أنه فُعل سحر لمثل هذا الداء فنفع، فإنه لا يجوز، لأن **السحر شرك** بالله عز وجل:

- السحر فيه استغاثة بالشياطين من جهة.
- وفيه أيضًا ادعاء علم الغيب من جهة أخرى؛ لأن السحرة والكهان والعرافين يدعون علم الغيب، فهذه مسألة مهمة.

الشاهد أن مصادر هؤلاء المتكلمين من هؤلاء الذين كان عندهم سحر وكان عندهم فلسفة وكان عندهم عقائد باطلة؛ بل هم كفار أصليين لم يؤمنوا بالله عز وجل.

(والنمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة النصارى، فهو اسم جِنس لا اسم عَلَم)

هذه فائدة استطرادية من الشيخ -رحمه الله-، وهو أن اسم النمرود واسم فرعون واسم النجاشي هذه اسم جنس لا اسم عَلَم، يعني لقبٌ على الملك، فكل مالكٍ على مصر كان يُسمَّى "فرعون"، كل ملكٍ على الحبشة يسمى "النجاشي"، وإلا النجاشي الذي آمن بالنبي ﷺ اسمه أصحمة، وفرعون اسمه الوليد، واضح؟

(وكانت الصابئة إلا قليلًا منهم إذ ذاك على الشرك)

ينبغي أن نعلم أن الصابئة قسمان:

- قسم موحدون وقسم مشركون. الموحدون الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فالصابئة منهم من كان موحدًا يؤمن بإبراهيم -عليه السلام-.
- ومنهم من كان مشركًا بالله عز وجل يعبد الكواكب والنجوم.

(وكانت الصابئة إلا قليلًا منهم إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم هم الفلاسفة)

الفلاسفة علماء عقل، وليسوا بعلماء شريعة ووحي

(وإن كان الصابئيُّ قد لا يكون مشركًا)

يعني كما عرفنا أنهم قسمان موحدون ومشركون.

(بل مؤمنًا بالله واليوم الآخر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لكن كثيرًا منهم، أو أكثرهم كانوا كفارًا أو مشركين، كما أن كثيرًا من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفارًا أو مشركين، فأولئك الصابئون ـ الذين كانوا إذ ذاك ـ كانوا كفارًا أو مشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل)

الهياكل: يعني المعابد كانوا يبنونها.

(ومذهبهم في الرب أنه ليس له إلا صفاتٌ سلبيةٌ أو إضافيةٌ أو مركبةٌ منهما)

هذه من مصطلحات وتقسيمات هؤلاء في صفات الله عز وجل:

- **صفاتٌ سَلبيَّة:** يعني مَنفية، يعني مسبوقة بنفي مثل: ليس أو لا أو ما، يعني يقولون ليس الله بجوهر ولا عرض، ولا كذا ولا كذا... فقط، لا يصفون الله إلا بالنَفي وبالسُّلوب، ليس فوق العرش ولا تحت العرش ولا عن يمين العرش ولا عن شمال العرش هكذا يقولون.
- **أو إضافية:** الصفات الإضافية، والمحقق جزاه الله خير الطبعة هذه من أَنفَس الطبعات بل هي في الحقيقة أنفس تحقيق وأنفس طبعة للحموية بيَّن يعني بتعليق مفيد جدًّا هذه المصطلحات والمقصود بالإضافية كما بيَّن أهل العلم، الآن عرفنا السلبية المنفية. **الإضافية:** هي التي لا تُعرف إلا بما يقابلها مثل: يَضرب مثال أهل المنطق يقولون الأُبوة والبُنوة؛ يقال: أب لا يطلق على الشخص أنه أب إلا عنده ابن يُقابله، ولا يقال ابن إلا له أب، فهُم أيضًا كقولهم: ليس في العُلوّ ولا في السُفل، ليس داخِل العالم ولا خارج العالم، يعني هؤلاء غُلاتهم أيضًا يصفون الله عز وجل بهذه الصفات.
- **أو المركبة منهما:** يعني المركبة من المنفية والإضافية.

(وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة والفلاسفة)

إذًا هذه الأفكار وهذه المقالات التي أخذها "الجعد" أخذها من هؤلاء الصابئة والفلاسفة.

(وكذلك أبو نصر الفارابي)

"أبو نصر الفارابي" أيضًا هذا من أساتذة الفلاسفة، ويسمونه المُعلِّم الثاني:

- المعلم الأول "أرِسطو"، يقولون وهو أوَّل من قال بِقِدم العالَم، نظرية قِدم العالَم أوَّل من قال بها هو أرِسطو.
- والمُعلِّم الثاني: أبو نصر الفارابي.
- والمُعلِّم الثالث: هو ابن سينا المعروف.

وكلهم فلاسفة ملاحدة، وإن كان ابن سينا ينتسب إلى الإسلام لكنه في الحقيقة باطِني؛ يعني مِن أُسرةٍ باطنية، وله كلمات في الإلحاد معروفة مشهورة.

(وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حرَّان وأخذ عن فلاسفتهم الصابئين تمام فلسفته. وأخذها الجهم أيضا فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السُمنِيَّة)

الإمام أحمد في كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة"، حكى مناظرة الجهم بن صفوان للسُّمنية، ناظرهم بالعقل وتحيَّر، ثم ظهر له أن الرب جل وعلا لا يُوصف ولا يجوز أن يوصف؛ لأن الذي يوصف هو المخلوق وهذا لقصوره في علم الكتاب والسنة كما عرفنا، ومن أراد يراجع الرَّد على الجهمية والزنادقة فإنه ذكر مناظرته كاملة.

(وأخذها الجهم فيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السُّمنِية بعض فلاسفة الهند) السُمنية طائفة من فلاسفة الهند (وهم الذين يجدون من العلوم ما سوى الحِسيَّات)

يعني السُّمَنِية فلاسفةٌ لا يؤمنون إلا بالمحسوس، أي شيء ليس بمحسوس لا يُدرَك بالحواس الخمس فلا يؤمنون به فكل شيء من الغيب لا يُؤمنون به.

(فهذه أسانيد الجهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضَّالين.)

هم إما من الصابئين وإما من المشركين، هذا أوَّلاً، الآن ذكر سند هذه المقالة وكيف تلقَّى الجعد والجهم هذه المقالة.

ثم ذكر سببا مهما جدا من أسباب ظهور وفُشُوّ مقالة التعطيل في الأمة وهذا السبب هو: تعريب وترجمة كتب الفلاسفة اليونانيين إلى اللغة العربية.

(ثم لما عُرِّبت الكتب الرُّومية واليونانية في حدود المائة الثانية -القرن الثاني للهجرة- زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضُّلاَّل ابتداءً من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم، ولمَّا كان في حدود المائة الثانية أو في أواخرها انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يُسمُّونها مقالة الجهمية)

يعني بعد ما تُرجِمت والترجمة كانت في عهد المأمون، لذلك قيل: (الأمر بعد المأمون غير مأمون)، وهو أول ملكٍ من ملوك المسلمين يتبنَّى هذه العقيدة المخالفة، وإلا من قبله من خلفاء بني العباس وبني أمَيَّة كلهم كانوا على السنة وعلى العقيدة الصحيحة.

(انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب من دخل في التجهم من أهل الكلام كالضِرارية والنجارية والمعتزلة وغيرهم)

الضرارية والنجارية هي من فرق المعتزلة، المعتزلة لهم فرق كثيرة: الضرارية والنجارية والواصلية وغيرها...

(والمعتزلة وغيرهم مثل بشر بن غياث المِرِّيسي أو المِريسي أو المِرَيسي -هكذا تضبط- وطبقته، وكلام الأئمة، مثل: مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في ذم أهل الكلام وفي ذم بشر المريسي هذا كثير في ذمه وتضليله)

هؤلاء الأئمة أئمة السلف، من أئمة السنة، لهم كلامٌ كثير في ذم ّالكلام وذمّ أهله وذم هؤلاء بأعيانهم وأسمائهم والتحذير منهم، وهذا من النُصح للأمة: «**الدين النصيحة**»، هذا من النصح للأمة ليس تشفيًّا منهم ولا غيبة لهم، وليس التحذير من أهل البدع ومن المبتدعة من الغيبة بل من النصح للأمة لأن هذا فيه ضلال عظيم، وهذا من هؤلاء الأئمة دفاعٌ عن الشريعة.

(هذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في "كتاب التأويلات")

كتاب "التأويلات" لأبي بكر بن فورك ردَّ عليه القاضي أبي يعلى في كتابه "إبطال التأويلات"، أبو بكر بن فورك ألف كتابًا جمع فيه نصوص الصفات وأوَّلَها، فردَّ عليه القاضي أبي يعلى.

الشيخ ابن تيمية هنا يُبيِّن أن تأويلات أبي بكر بن فورك هو في الحقيقة تأويلات الجهم بن صفوان.

(وذكر أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه "تأسيس التقديس")

نعم هي أيضًا نفس شُبهات ونظريات الجهم والجعد بن درهم.

(ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمذاني)

"أبي علي الجبائي" من المُعتزلة، و"عبد الجبار بن أحمد الهمذاني" هذا يسمونه المعتزلة القاضي إمام المعتزلة.

(وأبي حسين البصري وأبي وفا ابن عقيل وأبي حامد الغزالي)

"أبو الحسين البصري" و"أبي وفا ابن عقيل" أيضًا مُعتزلة، أما "أبو حامد الغزالي" فهو من أئمة الأشاعرة لكنه من المتأخرين بالنسبة للجعد والجهم، بل الأشاعرة لا يرتضون الجهمية ولا يرتضون المعتزلة، مع أنهم يقولون بمقالاتهم، يعني يُقرِّرون مثل تقريرهم ويقرِّرون قواعدهم التي هي التأويل والتفويض وعدم العمل بظواهر النصوص ونحو ذلك.

(وغيرهم مثل كثير ممن صنف في تفسير القرآن وشرح الحديث وهي بعينها تأويلات بِشر المريسي التي ذكرها في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله ايضًا ولهم كلام حسن في أشياء)

يعني هؤلاء المتأخرين سواء من المعتزلة أو من الأشاعرة هم من المعدودين من الفُقهاء، يعني الشافعية أو الحنابلة أو المالكية، ومعدودين أيضًا من علماء أصول الفقه وبعضهم معدودٌ من شُرَّاح الحديث وبعضهم معدودٌ من المفسرين ولهم كلامٌ حسن، وهذا من إنصاف ابن تيمية -رحمه الله- وإنزال الناس منازلهم.

فهؤلاء فقهاء أو علماء في أصول الفقه أو شراح للحديث أو مفسرين ليسوا كالجعد بن درهم وليسوا كالجهم بن صفوان؛ لكن في الحقيقة أنهم قرَّروا مثل تقرير هؤلاء المتقدمين الجهمية وأعملوا نفس النظريات التي أعملها الجهم بن صفوان لكن تفاوتوا في التعطيل؛ يعني الجهم بن صفوان ومن تبعه على عقيدته هذه الأولى كانوا يُنكرون الأسماء والصفات كلها لا يثبت لله شيء، المعتزلة لا، أثبتوا الأسماء وأنكروا الصفات، والأشاعرة الكلابية والماتريدية أثبتوا الأسماء وأثبتوا سبع صفات وردوا الباقي، ونظرياتهم أو قاعدتهم واحدة أصلهم واحد وهو: عدم العمل بظواهر النصوص، وأن إعمال ظواهر نصوص الصفات يقتضي التشبيه وبالتالي عطلوا.

(وإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي)

أي: تأويلات المعتزلة هي نفس تأويلات الأشاعرة وكلهم قد أخذوا بأصل الجهم وهو التعطيل.

(ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري صنف كتابًا سماه "رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد") والكتاب مطبوع معروف (حكى فيه هذه التأويلات بِعينِها عن بِشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعَدُ بها)

أقعد يعني أعلَمُ وأعرَفُ ونحو ذلك

(وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم جهتهم وجهة غيرهم، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم. ثم إذا رأى الأئمة -أئمة الهدى- قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب الجهمية كالمريسية تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله)

معرفة هذا التاريخ بهذه العقيدة عقيدةِ التعطيل كافي في ردِّها في الحقيقة، أنها مأخوذة من المشركين ومأخوذة من الصابئين، مأخوذة من الفلاسفة، ثم نشرها وقام بها الجهم والجعد الذين أجمعت الأمة على ضلالهم.

(والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب)

الشيخ هنا يعتذر، هذا اعتذار من الشيخ أن هذه فتوى، وهو قد كتبها بين الظهر والعصر، كل هذا العلم الغزير كتبه في جلسة -رحمه الله-، يقول: (الفتوى لا تحتمل) لماذا؟ لأن الأصل في الفتاوى الاختصار.

(والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير فينظر وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتبهم كثيرة لا يمكن أن يذكر هنا إلا قليلًا منه)

السلف -رحمهم الله- ألفوا كتبًا كثيرة مسندة في الاعتقاد وفي السنة، جمعوا فيها من النصوص الصحيحة الثابتة التي لا تحتمل تأويلًا في إثبات الصفات وأنها على ظاهرها، وكتب كلها مسندة، وهذا يفيدنا أن أسانيد عقيدة أهل السنة متصلة بالصحابة والنبي ﷺ.

بعد أن عرفنا سَند مقالة التعطيل وأنها لا صلة لها بالسلف من الصحابة والنبي ﷺ نعرف أن عقيدة أهل السنة، عقيدة السلف، متصلة بالصحابة رضي الله عنهم ونبينا ﷺ.

وهنا ذكر وعدَّ كثيرًا من الكتب بعضها مفقود، وكثير منها موجودٌ مطبوعٌ اليوم وكلها مُسندة، وقررت عقيدة السلف؛ بل ردت على الجهمية، مثل:

(كتاب "السنن" للالكائي، و"الإبانة" لابن بطة، و"السنة" لأبي ذر الهروي، و"الأصول" لأبي عمر الطلمنكي، وكلام أبي عمر بن عبد البر، و"الأسماء والصفات للبيهقي"، وقبل ذلك "السنة" للطبراني ولأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي عبد الله بن منده) هذه كلها باسم ماذا؟ باسم السنة

(ولأبي أحمد العسال الأصبهاني) هذه الثلاثة كلها الأخيرة باسم السنة أيضًا

(وقبل ذلك "السنة" للخلال، وكتب عبد الرحمن بن أبي حاتم، و"التوحيد" لابن خزيمة، وكلام ابن عباس بن سريج، و"الرد على الجهمية" لجماعة مثل: البخاري وشيخه عبد الله بن محمد الجعفي، وقبل ذلك "السنة" لعبد الله بن أحمد، و"السنة" لأبي بكر الأثرم، و"السنة" لحنبل وللمروذي ولأبي السجستاني ولابن أبي شيبة، و"السنة" لأبي بكر بن أبي عاصم، و"كتاب خلق أفعال العباد" للبخاري "وكتاب الرد على الجهمية" لعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم، وكلام أبي العباس عبد العزيز المكي صاحب "الحيدة" في الرد على الجهمية)

"عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي" من أصحاب الشافعي وله كتاب مشهور اسمه كتاب "الحيدة"، طُبع طبعات كثيرة، أول تَحقيق له كان تحقيق شيخنا الأستاذ الدكتور "علي بن ناصر فقيهي"، ثم طُبع، طبعه أخونا الشيخ "أبو عبد الرحمن الأثري البرازي" في كتاب طُبع عند دار الإمام مسلم طبعة كاملة ومتقنة.

الشاهد أن هذا الكتاب احتوى على مناظرة، "الحيدة" هي من منازل المُناظرة ومن مقامات المناظرة، يعني "الحيدة" هذا الاسم هو مقامٌ من مقامات المناظرة، شخص يُوجه إليه سؤال فيحيد عنه، فيحيد عن الجواب عنه، وهكذا هم الجهمية إذا ناظرهم أئمة أهل السنة، حادوا عن الجواب إلى قضيةٍ أخرى.

بعض الناس يُشكك في نِسبة كتاب الحيدة ل"عبد العزيز بن يحيى الكناني"، وهنا ابن تيمية أثبته للشيخ عبد العزيز الكناني المكي؛ بل أثبته جمعٌ من أهل العلم، وممن أثبته الخطيب البغدادي وممن أثبته الحافظ ابن حجر وممن أثبته ابن العماد الحنبلي وممن ذكره أيضا ابن بطة في "الإبانة" ساق المناظرة بإسناده -رحمه الله تعالى- وهو كتابٌ مفيد، لكن يقرأه من فهم مقالة الجهمية ومقالة السلف في القرآن، أما من قرأه إبتداءًا وهو لا يعرف أصل مقالة السلف مقالة الجهمية ربما لا يفهم الكتاب لأنه مناظرة.

وهذه قاعدة منهجية: أن لطالب العلم لا يبتدئ بقراءة المناظرات والردود قبل أن يعرف أصل وقاعدة السلف، إذا عرفها يقرأ بعد ذلك ويفهم بإذن الله.

(وكلام نعيم ابن حماد الخزاعي وكلام غيره. وكلام الامام أحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهُويَه) هكذا ينطقها العلماء (ويحيى ابن يحيى النيسابوري وأمثالهم وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة)

السلف -رحمهم الله- ما قصَّروا في هذا الباب، بينوا بيانا واضحا شافيا كافيا

(وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في هذه الفتوى)

وهذا منهجٌ للشيخ، ومقصدُ قصدِه في "فتوى الحموية" وهو أنه لا يقصد بهذه الفتوى بيان شبهات المخالفين والردِّ عليها، وإنما أراد بيان حقيقة مذهب السلف وحقيقة مذاهب هؤلاء المخالفين.

(فمن نظر فيها أو أراد إبانة ما ذكروه من الشبه فانه يسير وإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذة عن تلامذتي المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)

مثل ما ذكرنا معرفة أصل وتاريخ هذه المقالة كافٍ في ردِّها، فإذا عرفنا أن مقالة التعطيل وتأويل نصوص الصفات وتفويضها التي عليها هؤلاء المتكلمين إذًا عرفنا أنها مأخوذة عن المشركين والصابئين والفلاسفة وليست مأخوذة عن الصحابة والنبي ﷺ، فكيف نأخذها وندع ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ثم قال -رحمه الله-:

❖ (فصلٌ):

هذا أول فصلٍ عقده الشيخ في الفتوى الحموية وهو الفصل الوحيد لا يوجد فصلٌ غيره، وقصد بهذا الفصل بيان مذهب السلف.

بعد هذه المقدِّمة الطويلة عقد هذا الفصل وذكر فيه هذا الكلام الذي اعتمده كثير ممن جاء بعد الشيخ -رحمه الله-، فعامة أهل العلم بعده ينقلون هذا الكلام المحكم المتقن في بيان عقيدة السلف في توحيد الأسماء والصفات.

(ثم القول الشامل في جميع هذا الباب باب الصفات، أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث)

هذا الكلام فيه تقريرُ مصدر التلقي لهذا الباب، أن هذه العقيدة تُتلقى عن الكتاب والسنة والصحابة فقط، لا يتجاوز القرآن والحديث، لا نأخذ لا بقواعد عقلية وفلسفية، فلا مجال للعقل بهذه المسالك والقواعد التي ذكرها هؤلاء، وأيضا لا يؤخذ هذا الباب عن طريق الرُّؤى والمنامات والإلهام الذي هو طريقة الصوفية.

هذا الذي ذكره الشيخ هو مصدر التلقي عند أهل السنة، أما المتكلمين فمصدر التلقي عندهم: قواعد كلامية، قواعد عقلية. الصوفية عندهم مصدر التلقي: الرؤى والمنامات والإلهام، وشيوخ الصوفية يأخذون عنهم مباشرة، وهذا كله باطل. فمصدر تلقِّي العقيدة هو الكتاب والسنة، نَصِف الله بما وصف به نفسه؛ لأن الله أعلم بنفسه من خلقه، فهو الذي وصف نفسه، فنصف الله بما وصف به نفسه.

(أو وصفه به رسوله ﷺ)

لماذا نصفه بما وصفه رسول الله ﷺ؟ لأن النبي ﷺ أعلَم أيضًا بربه من غيره، والنبي ﷺ يوحى إليه.

(وبما وصفه السابقون الأولون)

لأن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- هم أعلَم الأمة بهذا الدين، ونبينا ﷺ أمرنا باتباعهم، قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ».**

والله عز وجل حذرنا من مخالفة سبيل المؤمنين الذين هم الصحابة؛ قال الله عز وجل في القرآن: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المؤمنين في زمن النبي ﷺ؟ الصحابة رضي الله عنهم. فيجب أن نتبع سبيل السابقين الأولين، لا يتجاوز القرآن والحديث، لكن الجاهل بعلوم القرآن والحديث هو الذي يحصل عنده تقصير وقصور في هذا الباب فيظن أنه لا بد من الرجوع إلى العقل.

(قال الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه-)

لماذا نقل عن الإمام أحمد؟ لأن الإمام أحمد هو أشهر من وقف أمام الجهمية، في فتنة خلق القرآن، فأصبح إمام أهل السنة، كل أهل السنة ينتسبون إليه حتى من الأشاعرة، والكلابية والماتردية ينتسبون إليه؛ لأنه أصبح علمًا لأهل السنة، وقف أمام الجهمية لما أرادوا تعطيل الصفات.

لذلك الإمام الذهبي -رحمه الله- لمَّا تَرجم له في "سير أعلام النبلاء" كان يترجم لكثير من الأئمة يقول الإمام، العالم، العلامة، الفهامة، المحدث، الفقيه، المفسر... لكن لما أتى إلى الإمام أحمد في المجلد الحادي عشر قال: (هو الإمام حقا وشيخ الاسلام صِدقا)، هذه كلمة ما قالها إلا في حق الإمام أحمد، قال: (هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا)؛ لأن حتى ضُرب فيه مثل قالوا: (وقف أبو بكر في حروب الرِّدة ووقف الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن).

كادت الأمة تضيع في زمن الردة فأنقذها الله عز وجل بأبي بكر الصديق، وكادت الأمة أن تضيع عقيدتها في زمن خلق القرآن فأنقذها الله عز وجل بالإمام أحمد -رحمه الله تعالى-، وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء، فالأخذ بكلام الإمام أحمد في هذا الباب باب الصفات وباب القرآن مهم جدًّا؛ لأنه أعلم الناس به.

الشاهد قال: (قال الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه-: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث)

(ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل)

السلف -رحمهم الله- لهم قواعد راسخة في هذا الباب لهم أصلان راسخان:

- **الأصل الأول:** الإثبات.
- **والأصل الثاني:** التنزيه.

وبهذا فارقوا المُعطِّلة وفارقوا الممثلة؛ فيثبتون ما أثبته الله لنفسه من غير تمثيل ومن غير تكييف، وينزِّهون الله عن مشابهة المخلوقين من غير تعطيل ومن غير تحريف.

- ففي قاعدة **الإثبات** يَحذرون من **محذورين:** التمثيل والتكييف.
- وفي قاعدة **التنزيه** يَحذرون من **محذورين:** التعطيل والتحريف.

وبهذا نعلم هذه المصطلحات؛ فقوله (من غير تحريف ولا تعطيل) يعني في مقام التنزيه، يُنزِّهون الله عن مشابهة المخلوقين لكن لا يحرِّفون الكلم عن مواضعه ولا يعطِّلون الله عز وجل عن صفاته، ويثبتون ما أثبته الله لنفسه من غير تكييف ومن غير تمثيل، فلا يمثِّلون الله بخلقه ولا يكيِّفون الصفة ويحددون كُنهها. فالتحريف والتعطيل هو مذهب المعطِّلة، والتكييف والتمثيل هو مذهب المُشبِّهة الممثِّلة.

والشيخ -رحمه الله- سيبين هذا فيما سيأتي بتفصيل واسع جدا:

- **فالتحريف:** هو تحريف النصوص وهؤلاء المعطلة حرفوا النصوص وغيروها عن معناها وصرفوها عن ظاهرها.
- **والتعطيل:** هو أنهم لم يثبتوا هذه الصفات بل أنكروا هذه الصفات، منهم من: عطَّل الأسماء والصفات، ومنهم من عطَّل الصفات وأثبت الأسماء، ومنهم من أثبت الأسماء وأثبت سبع صفات وعطَّل الباقي... والسلف رحمهم الله أثبتوا الأسماء والصفات كلها.

(ونعلم أن ما وُصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحَاجِي)

الأحاجي: هي الألغاز، كما تعلمون الألغاز هذه نتكلَّم بكلام لا يُقصد به ظاهره، فأقول لك أخبرني عن كذا وكذا... فاللُّغز يُذكر فيه بكلام لا يُقصد به ظاهره فيه معنى خفي.

كلام الله عز وجل نصوص الصفات ليست من هذا القبيل، ليست من هذا القبيل أبدًا.

(بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد)

يقولون هناك دواعي لصِدق المخبر، جاء شخص يخبرك بحديث، إذا اجتمعت فيه هذه الصفات فهو صادق: العلم والنصح والفصاحة.

وهنا يقول لك الشيخ أعلم الخلق وأنصح الخلق وأفصح الخلق هو من؟ محمد ﷺ، هو الذي قال وهو الذي تكلَّم، قال: «**ينزل الله في الثلث الأخير من الليل**»، «**يدنو الله من الحجاج عشية عرفة**»، قال: «**القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء**».

كيف لا يعني نفهم هذه النصوص على ظاهرها؟!

(وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما يُتَيقن أن الله سبحانه وتعالى له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة)

الشيخ هنا يقرِّر القاعدة المهمة، وهي: أن القول في الصفات فرعٌ عن القول في الذات، الآن كل هذه الفِرق تثبت لله ذاتًا حقيقيَّة موجودة، يعني كل هذه الفرق الكلامية سواء جهمية أو معتزلة أو كُلَّابية أو أشعرية أو ماتريدية، كلهم يتفقون على ماذا؟ وجود ذات إلهية حقيقية، الذي لا يثبت ذات حقيقية هذا لا يثبت وجود إله، هذا كافر أصلًا لا يثبت وجود إله؛ لكن هم كلهم يثبتون ماذا؟ ذاتًا حقيقية.

فالشيخ هنا يقول: كما أننا أثبتنا لله ذاتًا لا تُشابه الذوات فنثبت لله صفات لا تُشابه صفات المخلوقين، كما أننا أثبتنا لله ذاتًا حقيقية وأفعالًا حقيقية فما المانع أن نثبت له صفات حقيقية لا تماثل صفات المخلوقات.

ولذلك هذه القاعدة يرُد بها على المعطِّلة ويرد بها أيضًا على الممثلة، على الممثلة إذا قال المُمَثل: كيف صِفته؟ نقول له: كيف ذاته؟ العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف وهو الله عز

وجل، والجميع يتفق على إثبات ذات حقيقية لله لا تماثل صفات المخلوقين ولا علم لأحد بكيفية تلك الذات.

إذًا القول بالصفات فرع عن القول في الذات، فنثبت لله صفاتًا حقيقية لا نعلم كيفيتها، ولا تماثل صفات المخلوقات هذا كلام متين جدًا، وأصل راسخ من أصول أهل السنة، يُرد به على الممثلة ويُرد به على المعطّلة.

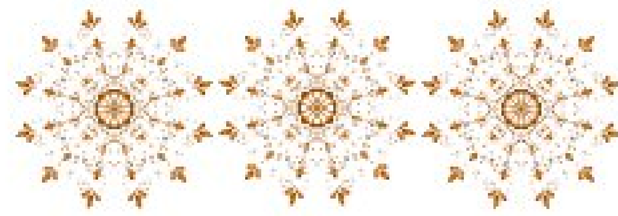
(فكما يتيقن أن الله سبحانه وتعالى له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله سبحانه منزه عنه حقيقة)

هذه قاعدة من قواعد النفي والتنزيه، كل نقصٍ فالله أولى أن يُنزَّه عنه، كما أنه في الإثبات كل كمال الله أولى به وأولى أن يوصف به، فهنا كل نقص فالله عز وجل أولى أن يُنزَّه عنه سبحانه وتعالى، فننزه الله عن كل نقص.

(فإنه سبحانه وتعالى مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم والافتقار المُحدث إلى مُحدِث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى)

هذه كلها أمور تستوجب علينا إثبات الكمال لله جل وعلا، وتنزيه الله عز وجل عن الحوادث والنواقص وعن كل عيب ونقص؛ لأن الحدوث والافتقار إلى مُحدِثٍ هذه كلها من صفات المخلوقات التي يُنزه الله عز وجل عنها.

نقف عند هذا القدر ونكمل إن شاء الله بعد الصلاة بإذن الله عز وجل، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وصحبه.



الـدَرسُ الرَابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال -رحمه الله-: (ومذهب السلف بين التَّعطيل والتَّمثيل فلا يُمثِّلون صفات الله تعالى بصفات خَلقِه، كما لا يُمثِّلون ذاتَه بِذات خَلقِه ولا يَنْفُون عنه ما وصفَ به نفسه أو وصفَه به رسوله ﷺ، فيُعطِّلون أسمائه الحسنى وصفاته العلى ويُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه ويُلحِدون في أسمائه وآياته)

الشيخ -رحمه الله- في هذه الجُملة من كلامه يُبيّن قاعدة أهل السنة بعد أن بين قاعدتهم في الإثبات والتنزيه، وهنا يُبيِّن -رحمه الله- وَسَطِيَّة أهل السنة بين مذهب التعطيل والتمثيل، المُعطِّلة الذين نَفوا صفات الله عز وجل، والمُمثِّلة.

(ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل) يعني وسطٌ بين الطائفتين.

(فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خَلقه، كما لا يُمثِّلون ذاته بذاتِ خَلقِه) يعني كما أنهم مِن منهجهم ومن عقيدتهم أنهم لا يُمثِّلون ذاتَه بذات خَلقِه، فكذلك لا يُمثِّلون صفاته بصفات خَلقِه لأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذَّات.

(ولا يَنفُون عنه) وهذا ردٌّ على المُعطِّلة (ولا يَنفُون عنه ما وَصفَ به نفسهُ أو وصفَهُ به رسوله ﷺ فيُعطِّلون) يعني الكلام أنَّهم لا يُعطلون، يعني: (فلا يعطلون أسمائه الحسنى وصفاته العلى ويحرفون الكلِم عن مواضعه)

لأن هذا حقيقة مذهبِ التعطيل، أنهم مُحرِّفة يحرفون الكلم عن مواضع جاؤوا إلى قوله ﴿اسْتَوَىٰ﴾

فقالوا معناها: (استولى). جاؤوا إلى قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قالوا: (وجاء أمر ربك) وهكذا...

(ويُلحدون في أسمائه وآياته) لأن **الإلحاد في أسماء الله وصفاته**: الميل بها عما يجب فيها، هذا إلحاد في أسماء الله وصفاته، فهم ليسوا على طريقة أهل التعطيل وليسوا على طريقة أهل التمثيل، فهم وسط بين الطريقتين.

(وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل)

هنا يبيِّن الشيخ أثر التعطيل وأثر التمثيل، وجِناية التعطيل وجِناية التمثيل واللَّوازم الفاسدة بل الآثار الفاسدة على التعطيل والتمثيل.

(أن التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل)

يعني كل مُعطِّل ممثِّلٍ، وكل ممثِّلٍ مُعطِّل، الآن عرفنا أن التعطيل هو نفيُ الصفات، لماذا نفوا الصفات؟ فرُّوا من التمثيل، فهم اعتقدوا التمثيل أوّلا، اعتقدوا أن النصوص تدل على التمثيل فعطَّلوا، فهم جمعوا في عقيدتهم بين: التمثيل والتعطيل، واضح؟

- **فكل معطِّلٍ ممثِّل:** المُعطِّل اعتقد أولا التمثيل ثم عطل.
- **وكل مُمثِّل مُعطِّل:** كل مُمثِّل مثَّل الله، مثَّل صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين هو في الحقيقة عطّل صفات الله، عطل الله عز وجل عن كماله سبحانه وتعالى فليست صفات الله كصفات المخلوق، فهو أثبت لله صفات لكن لم يثبت صفات الله، وإنما أثبت لله صفات المخلوقين.

واضح؟ فكل معطل ممثل وكل ممثل معطل، هذا معنى هذه العبارة من الشيخ -رحمه الله-.

(أما المعطلون فإنَّهم لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته إلاَّ ما هو اللاَّئق بالمخلوق مثل صفة اليدين)

قالوا لا نفهم من ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ أو ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾، ونحو ذلك إلاَّ اليدُ الجارِية، ما نعرف إلاَّ يد المخلوق، اعتقدوا ماذا؟ التمثيل.

(ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات)

أي صَرفِ ظواهر النصوص عن ظاهرها ومعناها الحقيقي، فقد جمعوا بين التَّمثيل والتَّعطيل مَثَّلوا أوَّلا وعطَّلوا آخرًا.

(وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمَفهوم من أسمائه وصفاته بالمَفهوم من أسماء خَلقِه وصفاته وتعطيلٌ لِما يستحقُّه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللاَّئقة في الله سبحانه وتعالى

فإنَّه إذا قال القائل)

هذه الشبهة من شبهات "بِشر المَريسي" التي أوْرَدها، وهم يُورِدونها وهي في الحقيقة شبهات "بِشر المريسي الجهمي" المُتقدِّم الذي ردّ عليه الدَّارمي -رحمه الله-.

(فإنَّه إذا قال القائل لو كان الله فوق العرش لَلَزِم إمَّا أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محالٌ ونحو ذلك من الكلام)

أنظر بِشر المريسي وهؤلاء المعطلة اعتقدوا ماذا؟ التَّمثيل، لمَّا قالوا أكبر من العرش أو مثل العرش أو مساوي للعرش أو أصغر من العرش، هذا اعتقاد للتَّمثيل.

(فإنه لم يفهم من كون الله تعالى على العرش إلاَّ ما يَثبُت لأيِّ جسمٍ كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابعٌ لهذا المفهوم)

يعني مفهوم التَّمثيل.

(وأما استواءٌ يليق بجلال الله ويختصُّ به فلا يلزمه شيء من هذه اللَّوازِم الباطِلة، التي يجب نفيُها كما يلزَم سائر الأجسام)

وهذا عقيدة السلف، أن استواء الله استواءٌ يليق بجلاله وكماله، يختصُّ به سبحانه وتعالى، لا يُشابه استواء المخلوق.

(وصار هذا مِثل قول المُمثِّل إذا كان للعالَم صانعٌ فإمَّا أن يكون جوهرًا أو عَرَضًا وكِلاهما مُحال إذْ لا يُعقل موجود إلاَّ هذان)

طبعًا مُصطلح الجَوهر والعَرَض هذه مُصطلحات الفلاسفة والمَناطقة يقولون: (الجَوهر هو ما يقوم بِنَفسه والعَرَض ما يقوم بِغيره)، وسيأتي بعد النِّصف الأول من الحموية كلام للشيخ عن "الجوهَر" و "الجوهَر الفَرْد" وهذا المُصطلح، سيأتي منه مناقشة لهذا المُصطلح إن شاء الله.

لكن نُبيِّن هنا أن معنى **الجَوهَر** على تعبيرهم وعلى ما يصطلحون عليه، يقولون: (الجَوهَر ما يقوم بِنفسه والعَرَض ما يقوم بِغيره)، طبعا هذا الكلام كلام الفلاسفة الذين قالوا: (إذا كان للعالَم صانع فإما يكون جوهرًا أو عَرَضًا وكِلاهما مُحال إذْ لا يُعقل موجود إلاَّ هذان)، ونحن عرفنا أن أرِسطو قال بِقِدَم العالَم، والفلاسفة يُنكرون الصَّانِع يعني الخالِق، فانظروا إلى خطورة هذه العقيدة أنَّها ترُدُّهم إلى عقيدة الفلاسفة الذين يُنكِرون الله.

(أو قوله إذا كان مُستويًا على العرش فهو مُماثِل لاستواء الإنسان على السَّرير أو الفُلك)

ما هو الفُلك؟ السَّفينة، الفُلك في القرآن كثير ورد صح؟ ما وردت السَّفينة إلاَّ في آية واحدة في سورة الكهف.

(إذْ لا يُعلم الاستواء إلاَّ هكذا)

هذا أيضًا القول مبني على التَّمثيل، أنَّهم لا يفهمون إلاَّ استواء المَخلوق.

(فإن كِلاهما مثَّل وكِلاهما عطَّل حقيقةَ ما وصف الله به نفسه)

جمعوا بين التَّمثيل، تمثيل الخالِق بالمخلوق، والتَّعطيل الذي هو عطَّلوا حقيقة ما وصف الله به نفسه.

(وامتاز الأول) يعني امتاز، هذا ليس مدح وثناء يعني تميَّز واختصَّ.

(وامتاز الأول بتعطيل كل مُسمى للاستواء الحقيقي) يعني المُعطّل، (وامتاز الثاني بإثبات استواءٍ هو من خصائص المخلوقين).

- **فالمُعطِّلة:** أنكَروا الاستواء بعد اعتقادهم أن الاستواء هو استواء المخلوقين فمثَّلوا ثم عطَّلوا.
- **والمُمثِّلة:** أثبتوا استواءً لكن يماثل استواء المخلوقين، فكلاهما مثَّل وعطَّل.

(والقول الفاصل هو ما عليه الأُمَّة الوسط، أهل السنة والجماعة، السلف، مِن أن الله مُستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويختصُّ به، فكما أنَّه موصوفٌ بأنَّه بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وأنَّه سميعٌ بصيرٌ ونحو ذلك)

انظروا مثَّل الشيخ بالعِلم والقُدرة والسَّمع والبَصر، وهذه تُثبِتها الأشاعرة والكُلاَّبِيَّة والمَاتُرِيدِيَّة، المُعطِّلة الصِّفاتِيَّة، يُثبِتُون هذه الصفات، فنردُّ عليهم بقاعدة أن: القول في بعض الصفات كالقولِ في البعض الآخر)، كما أنَّكم أثبتُّم قدرةً وإرادةً وسمعًا وبصرًا وعِلمًا يليق بالله، إذًا أثبِتُوا استواءً يليق بالله.

(وأنَّه سميعٌ بصيرٌ ونحو ذلك ولا يجوز أن يُثبَت لِلعِلم والقُدرة خصائص الأعراض التي كعِلمِ المخلوقين وقُدرتِهم فكذلك هو سبحانه وتعالى فوق العرش ولا يَثبُت لِفوقيَّته خصائص فَوقيَّة المخلوق على المخلوق وملزوماته واعلم أنه ليس في العقل الصَّريح)

العقل الصَّريح: هو السَّالم من الشُّكوك والأوهام.

(واعلم أنَّه ليس في العقل الصَّريح ولا في النَّقل الصَّحيح ما يُوجِب مُخالفة الطَّريقة السَّلفية أصلاً)

يعني هم عرفنا قبل قليل أنهم ماذا قالوا؟ قدَّسوا العقل وجعلوا العقل مُقدَّمًا على النَّقل، بل جعلوا العقل حاكِما على النقل، نقول لهم: أصلاً لا تعارُض بين العقل والنَّقل، العقل الصَّريح السَّالم من الشُّكوك والأوهام لا يتعارض مع النَّقل الصَّحيح.

يعني العقل والنَّقل إذا اختلفا:

- فإما أن يكون **العقل غير صريح**: عنده شبهات، ولَبس واختلطت عليه الأمور، هذا العقل لم يبقى على فِطرته السَّليمة.
- وإما أن يكون **النَّقل غير صحيح**: يُمكن يكون الحديث ضعيف أو ليس بحديث ولا آية.

لكن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح، وهذه قاعدة مهمة جدًّا جدًّا جدًّا، لا تعارُض بين العقل والنقل، الله عز وجل الذي خلق العقل، أنزل إليه كتابًا ووحيًا ونقلاً لا يُعارِضُه، وهذه من حكمة الله عز وجل.

(واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في النَّقل الصحيح ما يُوجب مُخالفة الطريقة السلفية أصلاً، لكن هذا الموضِع لا يتَّسع للجواب عن الشبهات الوارِدة على الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحبَّ حلَّها فذلك سهلٌ يسيرٌ)

إذا تأمل، يعني يسير، إذا نظرت بهذه النظرة وهي أن تنظر بعقلٍ صريحٍ سالمٍ من الشكوك والأوهام وطريقة هؤلاء العقلانيين ويكون النقل صحيحًا ثابتًا، لهذا لا يحصل أي تعارض.

ولذلك هُم في الحقيقة يعني هؤلاء المُتكلمين خصوصًا المُتأخرين منهم، قعَّد لهم قاعدةً الرَّازِي، ويُسمونه "قانون الرَّازي" وهو إذا تعارض العقل والنقل فيُقدَّم العقل، شيخ الإسلام -رحمه الله- ردَّ على هذا القانون، بكتابه "درء تعارُض العقل والنقل"، وهوَّ من أعْجبِ مُؤلَّفاته وأغزرِها مادَّة، وفيه مواضع صعبة، يعني مستوى هذا الكتاب عالي جدًّا لكن خُلاصة هذا الكتاب في عنوانه "درء تعارُض العقل والنقل"، يعني منع تعارُض العقل والنقل، العقل لا يتعارض مع النقل والنقل لا يتعارض مع العقل، فالشيخ أبطَل المُقدِّمة الأولى وهي قولهم: (فإن تعارَض العقل والنقل ماذا نفعل؟، نُقدم العقل أو نقدم النقل؟).

قال: (أصلاً العقل لا يتعارض مع النقل)، قطع الطريق من أوَّله، وألَّف هذا الكتاب الكبير، وفي الحقيقة أن تلميذه ابن القيم لخَّص وسهَّل كتابه هذا بكتابه "الصواعق المرسلة"، فإذا أشكلَ عليكم شيء في "درء تعارض العقل والنقل" فارجعوا إلى نفس المسألة في "الصواعق المرسلة" تجدون

أن ابن القيم سهَّلها ووضحها بأسلوبٍ واضحٍ سهل، وكتاب "درء تعارض العقل والنقل" نفس ابن القيم يعني وصفه بأنه من أعاجيب الكتب، -رحمه الله-.

(ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المُتأوّلين في هذا الباب في أمر مريج)

يعني أمر مختلف ومختلط؛ لأن كل طائفة تدعي أن عقلها اضطرَّها إلى التأويل، أي عقل نتَّبع؟! عقل "الجعد بن درهم" أو عقل "الجهم بن صفوان" أو "واصل بن عطاء"، أو من؟! العقول مختلفة، كل إنسان يدَّعي أن عقله يوجب كذا، والعقول متفاوتة ومختلفة، لذلك هم في أمرٍ مريجٍ مختلف مختلط تجدون أنهم يختلفون اختلافا، يعني من أول مسألة إلى آخر مسألة فيما يُقرِّرون يختلفون، يعني أول مسألة يذكرونها ما أول واجب على المكلف؟ ذكروا فيها اختلافا كبيرًا كثيرًا، هذا أول واجب على المُكلَّف، والله المستعان.

(فإن من يُنكر الرؤية)

يعني رؤية الله عز وجل في الآخرة، رؤية المؤمنين لربِّهم، وهذه المسألة ثابتة في نصوص الكتاب والسنة؛ متواتر السنة، ومع ذلك أنكروها، لماذا؟ لأن إثبات الرُّؤية مبنيٌّ على إثبات الصفات، فإذا أثبتنا أن لله صفات وأثبتنا أنه في العلو وأثبتنا أنه يتكلم نُثبت أنه يُرَى، لكنهم ما أثبتوا أن الله عز وجل في العلو ولا أنه يتكلم ولا أنه موصُوف لذلك أنكروا الرؤية، أنكروا أن يراه المؤمنون يوم القيامة وفي الجنة.

(فإن من يُنكر الرؤية يزعم أن العقل يُحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله تعالى علمًا وقدرة؛ وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول أن العقل أحال ذلك فاضطره إلى التأويل)

الآن الذين يُنكرون الرؤيا أكثر من الذين يُنكِرون العلم والقدرة بالنسبة لمذاهب المُعطِّلة، لكن شُبهتهم واحدة وهي ايش؟ الذي أنكر الرؤيا قال عقلي يُوجب ألا أثبت الرؤية، إذا تدرَّجنا وذهبنا إلى العلم والقدرة نجد من الجهمية والمعتزلة من يقول طبعا جمهور المتكلمين لا يُثبت علم الله وقدرته، لكن الجهمية والمعتزلة ماذا يقولون؟ يقولون: (لا نُثبت هذه الصفات لله عز وجل)، بل منهم من يُصرِّح من المعتزلة يقول عليم بِلا علم، بصير بِلا بصر، قدير بِلا قُدرة، يُثبت الأسماء ويُنكر الصفة، والحُجَّة ما هي؟ أن العقل أحال ذلك، فاضطر إلى تأويل جميع آيات العِلم والقدرة، طيب، الآن انظروا إلى الخطورة:

يقول ابن تيمية: (بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد) حشر الأجساد يعني ماذا؟ البعث والنشور يوم القيامة وهذا أمر يتفق عليه كل الفرق الكلامية، من ينكره؟ الكفار الذين قالوا (إذا كنا ترابًا وآباؤنا أئنا لمُخرجون)، والفلاسفة أيضا والدُّهنية هم أيضا قالوا: (عقلا يستحيل أن الذي يذوب في التراب وتأكله الدود أنه يعود)، يقولون العقل أحال، نفس الحجة، يقولون مستحيل عقلا أن يعود هذا الجسد أوَ آباؤنا الأولون الذين ماتوا من سنين وآلاف السنين يعودون، انظروا إلى جِناية التأويل الفاسد وخطورة الاحتجاج بالعقل وصرف النصوص بحجة أن العقل يُحيل ذلك.

وهذا هو قول الكَفرة بل صرَّح به ابن سينا، وهو من هؤلاء الفلاسفة كما عرفنا.

(بل من يُنكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطرٌّ إلى التأويل ومَن زعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل)

وهذا ماذا يدل عليه؟ تضارب الأقوال واختلاف الأقوال دليلٌ على تضارب العقول واختلاف العقول فلا يصلُح العقل دليلاً في هذه الأمور الغيبية.

(بل منهم من يزعم أن العقل جوَّز أو أوجب ما يدَّعي الآخر أن العقل أحاله)

يعني واحد من المُتكلمين يقول هذا مستحيل عقلاً وآخر يقول هذا واجب عقلاً، والثالث يقول هذا جائز عقلاً؛ نتَّبع عقل من؟ والله عز وجل قال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

(فيا ليت شعري بِأيِّ عقلٍ يُوزَن الكتاب والسنة؟)

بِأيِّ عقل؟ وهذا جناية التأويل الفاسد، ويوجد كتاب مطبوع وهو رسالة علمية كانت رسالة دكتوراه في قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بعنوان "جناية التَّأويل الفاسد" مطبوعة في مجلد.

(فرضي الله عن مالك ابن أنس الإمام حيث قال: (أوَكُلَّما جاءنا رجلٌ أجْدَلُ من رجلٍ))

يعني أكثر جدلاً.

((أوَكُلَّما جاءنا رجلٌ أجْدَلُ من رجلٍ تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لِجَدَل هذا؟)؛ وكل منها وكل من هؤلاء مخصوم بمثل ما خصم به الآخر وهو من وجوه:)

الآن سيذكر قاعدة عامة كُلِّيَّة نردُّ بها على جميع طوائف المعطلة سواء من عطلوا الأسماء والصفات أو عطَّلوا الصفات دون الأسماء أو عطَّلوا بعض الصفات، بحجَّة أن العقل أحال دون إثبات هذه الصفات.

- الوجه الأول: (**أحدها:** بيان أن العقل لا يُحيل ذلك)

العقل لا يُحيل ذلك، يعني مثال العقل لا يُحيل أن يكون الله فوق العرش، العقل لا يُحيل أن يكون الله فوق العرش.

- (**الثاني:** أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل)

مر معنا حديث الإسراء والمعراج، صح؟ عُرج بالنبي ﷺ السماوات، السماوات اين؟ في العلو، صح؟ حتى بلغ سِدرة المنتهى، فكلَّم الله ففرض الله عليه الصلوات، هذا ماذا يدل عليه؟ أن الله في العلو، يعني ما يقبل التأويل، (أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل).

- (**الثالث:** أن عامَّة هذه الأمور قد عُلِم أن الرسول ﷺ جاء بها بالإضطرار، كما عُلم أنه جاء بالصلوات الخمس وشهر رمضان)

الآن لو جاءنا شخص قال: لا الصلوات الخمس ليس مقصود فيها صلاة الفجر والعصر والمغرب، هل نقبل منه؟ ما نقبل، إذا قال صوم شهر رمضان ليس مقصود به ثلاثين يوم، المقصود به ثلاثين ساعة، نقبل منه؟ يقول لأن العقل يُحيل ذلك، ما نقبل صح؟ فكذلك نقول للجهمية (استوى) جاءت عن الله وعن رسوله ﷺ، فلا يجوز أن نُؤوِّلها كما أوَّلتها الجهمية ب(استولى)، انظروا إلى خطورة هذا التأويل.

(فالتأويل الذي يُحيل عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النُّبوة)

الباطنية ومنهم القرامطة، هؤلاء كما قالوا فيهم ظاهرهم الرَّفض وباطنهم الكُفر المحض، هؤلاء ماذا قالوا عن الحج؟ قالوا الحج ليس المقصود به الحج إلى الكعبة وإنما الحج إلى المشايخ وقبور المشايخ! وأضرحة المشايخ! تأويلهم هذا مِثل تأويل الجهمية (استوى) ب(استولى) تماما، مثله تماما، لا فرق بين التأويلين لأن كِلا التأويلين تبديل للدِّين، هذا بدَّل في بعض الصفات وهذا بدَّل في باب الحج والصوم والصلاة، انظروا إلى خطورة التأويل وفتح باب التأويل وصرف النصوص

عن ظاهرها، فالأصل هو إبقاء النصوص على ظاهرها حتى يأتي دليل من النصوص يصرفها عن ظاهرها ويفسرها.

- (**الرابع:** أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن دَرْكِ تفصيله وإنما يُعلم مُجملاً إلى غير ذلك من الوجوه)

الوجه الرابع: يُبين ألا تعارُض بين العقل والنقل، لا تعارُض بين العقل الصريح وما جاءت به النصوص، لكن نبَّه الشيخ على قضية وهي: أن العقل قد يعجز عن دَرْكٍ تفصيلي، قد يأتي في النصوص شيء لا يستطيع العقل معرفتها على حقيقتها، يعني أنهار الجنة، نهرٌ من لبن، ما حقيقته؟ الله عز وجل قال في الحديث القدسي «**أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**، مهما فكرت في أنهار الجنة ونعيم الجنة لن تصل إلى نتيجة، عقلك يعجز عن دَرْكِ حقيقة هذا النعيم، هذا مثال.

مثال آخر: الرُّوح التي بين جنبيك، نتفق الآن أن كل إنسان فيه روح، ما حقيقة هذه الروح؟ ما لونها؟ وزنها؟ هل نستطيع؟ هذه مخلوقات، فكيف بصفات الله عز وجل! فصفات الله عز وجل معلومة مفهومة لكن حقيقتها تعجز عن إدراكِها العقول من حيث معرفة كيفيتها وحقيقتها، إذًا لا تعارُض بين العقل والنقل.

(على أن الأساطين من هؤلاء والفُحول مُعترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية)

يعني هؤلاء عجيبٌ أمرهم تجد أنهم يُقسِّمون مثلا العقيدة إلى إلهيَّات وسمعيَّات.

- **إلهيَّات:** هذا الباب اللِّي هو باب صفات الله يُقحمون العقل فيه.
- **والسَّمعيات:** يعني أمور الغيب مثل أمور يوم القيامة، يقولون نَقبل النصوص على ما جاءت به ولا نُدخل العقل في نصوص السَّمعيات.

باب الإلهيات وباب ما يتعلق بالله أولى ألا يُقحَم فيه العقل من أمور يوم القيامة.

(وإذا كان كذلك فالواجب تلقِّي عِلم ذلك من النُّبوات على ما هو عليه)

كل ما جاء عن النبي ﷺ يُتلقَّى على ما هو عليه على ظاهره.

(ومن المعلوم للمؤمنين أن الله بعث محمدا ﷺ بالهُدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه وكفى بالله شهيدًا، وأنَّه بيَّن للناس)

هاه أعاد، الله بعث محمد ومحمد ﷺ بيَّن الدِّين، ومن أهمِّ الأمور التي بينها ما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

(وأنه بيَّن للناس ما أخبرهم الله به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وقد بين الله سبحانه على لسان رسوله ﷺ من أمرِ الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده، ومعلوم للمؤمنين أن رسول ﷺ أعلمُ من غيره بذلك، وأنصحُ من غيره للأمة وأفصحُ عن من غيره عبارة وبيانا)

هذه الصفات صفات صدق المخبر، وقد اجتمعت في النبي ﷺ بل هو أولى الناس بالاتصاف بها.

(بل هو أعلم الخَلق بذلك، وأنصح الخَلق للأُمَّة وأفصحُهم وقد اجتمع في حقِّه ﷺ كمالُ العلم والقدرة والإرادة، ومعلوم أن المُتكلِّم والفاعل إذا كمُلَ عِلمه وقدرته وإرادته كمُل كلامه وفعله، وإنَّما يدخل النَّقص إمَّا من نقص علمه وإمَّا من عجزه عن بيان علمه وإمَّا لعدم إرادته البيان، ﷺ هو الغايةُ في كمال العلم، والغايةُ في كمال إرادة البلاغ المبين، والغايةُ في القدرة على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المُراد فعُلِم قطعًا أن ما بَيَّنه مِن أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مُرادُه من البيان، وما أراده من البيان هو مُطابِقٌ لعلمه وعِلمه بذلك هو أكمل العلوم فكل من ظنَّ أن غير الرسول ﷺ أعلم بهذا منه أو أكمل بيانًا منه أو أحرَصُ على هدي الخَلق مِنه، فهو من المُلحِدين لا من المؤمنين)

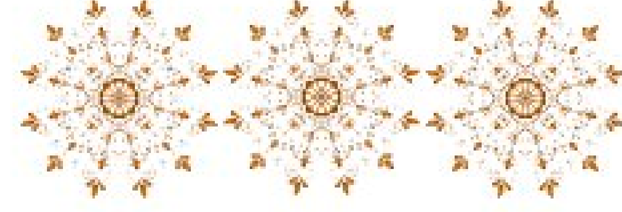
يعني مثل الفلاسفة وغُلاة الصوفية، الفلاسفة فضَّلوا العقل على كل شيء، وغُلاة الصوفية فضَّلوا الأولياء على الأنبياء، فهؤلاء لا شك أنهم ليسوا من أتباع محمد ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فالواجب اتباع ما جاء عن النبي ﷺ وأخذ ما جاء من النبي ﷺعلى ظاهِره لا على طريقة المُمَثِّلة ولا على طريقة المُعطلِّة.

(والصحابة والتَّابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة)

وقد عرفنا أن هذا يعني هذه الفرق كلها ليسوا على طريقة النبي ﷺ وليسوا على طريقة الصحابة ولا على طريقة التابعين، رضي الله تعالى عنهم.

نقف عند هذا؛ لأن من قوله: (وأمَّا المُنحَرِفون عن طريقتهم فهم ثلاث طوائف)، سيبدأ الشيخ بموضوع؛ ألا وهو مسالِك أهل التَّعطيل، وفيه تفاصيل تكون بداية درسنا القادم بإذن الله عز وجل.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بارك الله فيكم.



الدَرسُ الخامِس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

نستكمل قراءتنا في "الفتوى الحموية"، وقد قرأنا بعض النُّقول التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعدما قرَّر مذهب السلف وبعدما ردَّ مقالة التعطيل والتأويل والتفويض، وبيَّن وسطِية أهل السنة والجماعة، وساق هذه النقُّول التي أراد أن يبين فيها أن جماهير السلف وجماهير أهل العلم والأئمة الأربعة وأتباعهم كلهم على عقيدة السلف، حتى بعض الأئمة الذين هم في عداد العُباد والزهاد والصوفية الأوائل كما سيمر معنا، مثل: الحارث بن أسد ومحمد بن خفيف وغيرهم، كلهم كانوا على عقيدة السلف في باب الصفات وإن كان عندهم في باب العبادة والزهد شيءٌ من أمور الصوفية إلا أنهم كانوا على عقيدة السلف في الإثبات، فكلهم كانوا يُثبتون الصفات.

ولذلك أورد الشيخ -رحمه الله- هذه النُّقول وإن كان فيها شيء من الألفاظ التي الشيخ -رحمه الله- لا يُقِرُّها وينكرها في بعض الرسائل الأخرى؛ لكن هو أوردها هنا وليس من قصده الاستدراك والتعقُّب على كل لفظةٍ وعلى كل حرفٍ؛ إنما أراد الشاهد من الكلام ومن هذه النقول الطويلة الشاهدَ منه هو إثبات الصفات على ما كان عليه السلف وعلى ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

وبداية قراءتنا اليوم إن شاء الله من كلام أحد أئمة المالكية -رحمه الله- وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، وهذا الإمام له تصانيف كثيرة منها مصنَّفٌ في السُّنة مطبوع، وهذا إمام من أئمة المالكية.

وبالمناسبة أهل هذا المذهب أئمة المالكية وأهل المغرب العربي كانوا أبعد الناس عن عِلم الكلام وعن مذهب التفويض وعن مذهب التأويل، وقد دخلهم علم الكلام ودخلت هذه المذاهب مذهب التأويل والتفويض... دخلت عليهم متأخرةً عن أهل المشرق، فانتشرت في المشرق قبل أن تنتشر في المغرب العربي؛ ولذلك أئمة المالكية جمهورهم على هذه العقيدة، يعني ابن أبي زمنين وهو من الأئمة الكبار هو من شيوخ أبي عمرو الداني الإمام المعروف، وكذلك تجدون كثيرًا في الأئمة المالكية تقريرَ عقيدة السلف، مثل: ابن أبي زمنين، ومثل ابن عبد البر، ومثل أبي عمرو الداني... وغيرهم كثير، والإمام مالك -رحمه الله- من أشهر الأئمة تمسكًا بالسنة، وهو الذي اشتهرت عنه

تلك المقالة التي يقول فيها: (كلٌّ يؤخذ من قوله ويُردُّ إلا صاحبُ هذا القبر) وكان يُدرِّس في مسجد النبي ﷺ ويُشير إلى قبر النبي ﷺ.

المقصود أن مثل هذه النُّقول عن أتباع الأئمة الأربعة مهمة جدًا؛ لأن المتأخرين حصل عندهم التفويض وحصل عندهم التأويل ويَنسبون هذه المذاهب إلى الأئمة الأربعة أو إلى السلف ونحو ذلك كما مرت معنا مقالة: (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) وأنها مقالة باطلة، فمعرفة هذه النقول مهمة جدًّا، لكي نعرف أن جماهير السلف من الفقهاء والمحدثين والمفسرين كانوا على عقيدة السلف وكانوا على عقيدة الإثبات.

وهنا قصد الشيخ النقل من هذه الرسالة لابن أبي زمنين ما يتعلق بالعرش وبالإيمان بالكرسي، وهذه مسألة عظيمة؛ لأنها مسألة متعلقةٌ بعلوِّ الله عز وجل، وهذه المسألة: مسألة علو الله عز وجل كما تعلمون، من المسائل العظيمة التي هي أصلٌ في باب الصفات، فمن خالف فيها سيخالف في باقي الصفات ومن وافق فيها السلف سيوافقهم في باقي الصفات، ولذلك مَن أثبت لله عز وجل العلوَّ وأثبت لله سبحانه وتعالى الاستواء على العرش وأثبت استواءًا يليق بالله عز وجل وفسَّر آيات الاستواء بقوله في الآيات التي وردت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أو ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ قال: (استوى يعني: ارتفع وعلا وصعد واستقر)، هذه هي المأثورة عن السلف، من وافق فيها فإنه سيوافق في باقي الصفات، أما من خالف فيها فأتى بما أتى به أهل الكلام من قولهم: (استوى: استولى) فانه سيقع في التأويل في باقي الصفات؛ لذلك نقل الشيخ -رحمه الله تعالى- هذا الكلام.

ومن المعلوم أن أهل العلم اعتنوا بما يتعلق بالعرش والكرسي، وشيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- له رسالة لطيفة إسمها "الرسالة العَرشِية" مطبوعة ضِمن "مجموع الفتاوى"، وهي قد طبعت مستقلَّةً في كُتيِّبٍ صغير، والأئمة الكبار المتقدِّمون أيضًا صنفوا فيها، مثل ابن أبي شيبة، والذهبي له أيضًا كتاب اسمه "العرش" وله كتاب "العلوّ".

الشاهد يذكرون الآثار والأدلة المتعلقة بالعرش والكرسي، وأن العرش والكرسي مخلوقات لله عز وجل، والعرش هو أعظم المخلوقات وهو كالقُبة على المخلوقات وهو سقف الفِردوس الأعلى من الجنة، ويُثبتون فوقية الله عز وجل على العرش، وأن العرش وما تحت العرش كله مفتقرٌ إلى الله سبحانه وتعالى لأن الله هو الذي خلقه وقهَرَه سبحانه وتعالى، والكرسيُّ موضع قدمَي الرب سبحانه وتعالى كما أُثر عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-.

إذًا نؤمن بأن الكرسي أعظم المخلوقات والأعظم هو العرش، ونؤمن بفوقية الله عز وجل على عرشه سبحانه وتعالى.

(وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين -الإمام المشهور من أئمة المالكية- في كتابه الذي صنفه في "أصول السنة" قال فيه: باب الإيمان بالعرش قال: ومن قول أهل السنة: إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء.

كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾، فسبحان من بَعُدَ فلا يُرى وقَرُبَ بعلمه وقدرته فسمع النجوى.)

الاستواء على العرش تكرَّر في القرآن في سبعة مواضع، وهذا يؤكِّد أن الاستواء حقيقي ولا يراد به إلا هذا المعنى: العلوّ، لا يراد به غيره، لو أن الله عز وجل أراد بالاستواء معاني أخرى غير العلو لأتى بما يُشعر ذلك لكن الله عز وجل في جميع هذه الآيات التي تكررت في القرآن في هذا السياق وبهذا الأسلوب كلها تؤكِّد على معنى واحد وهو أنِ استوى بمعنى: علا وارتفع سبحانه وتعالى.

(ثم استوى عليه كيف شاء) من المعلوم أن الصفات حقيقية وأن لها كيفية؛ لكن الله عز وجل أعلم بكيفيتها، وأثرُ الإمام مالك رحمه الله مشهور: (الاستواء معلوم والكيف مجهول) هناك كيفٌ لكن الله أعلم به

قال: (فسبحان من بَعُدَ فلا يُرى وقَرُبَ بعلمه وقدرته فسمع النجوى) وهذا فيه جمعٌ بين العلو والقُرب والدُّنو، وآيات القرآن جمعت بينهما، فالله عز وجل فوق عرشه بذاته ومع خلقه بعلمه وقدرته، فهو قريبٌ منهم محيطٌ بهم سبحانه وتعالى، وبهذا نعرف أنه لا تعارُض بين نصوص المعيَّة ونصوص الدنو ونصوص القرب مع نصوص الاستواء والعلو.

(وذكر حديث أبي رَزِين العقيلي؛ قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: «**في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء**» قال محمد: العماء: السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل.

وذكر آثارًا أُخَر، ثم قال: باب الإيمان بالكرسي.

قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين.)

هذا من كلام ابن أبي زمنين، هنا كلامه على الكرسيِّ وأنه بين يدي العرش، يعني: أمام العرش وهو موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى، ففيه اثبات العلوّ وفيه اثبات القدمين لله تبارك وتعالى.

(ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه «**فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه، ثم يحف بالكرسي منابر من ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها...**» إلى آخر الحديث)

هذا الحديث -حديث الجمعة في الجنة- فيه اثبات صفة النزول لله عز وجل، قوله: «**هبط**» وهذا من مواضع النزول؛ لأنه قد دلت النصوص والآثار على أن نزول الله عز وجل أنواع:

- منها نزوله في الثلث الأخير من الليل.
- ومنها عشيَّة عرفة.
- ومنها هذا الموطن.

وأيضًا هذا الحديث تضمَّن صفة التجلِّي لله عز وجل، بمعنى أنه يظهر فيراه المؤمنون وهذا أعظم نعيمٍ في الجنة.

والذين يُنكرون الصفات أنكروا الرؤيا، لأن اثبات الرؤيا يستلزم اثبات الصفات واثبات العلوِّ على وجه الخصوص، لأن النصوص التي جاء فيها اثبات رؤية الله عز وجل جاء فيها ضرب المثال بالقمر: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر**» وهذا فيه تشبيهُ الرؤية بالرؤية، ورؤية القمر تكون إلى العلوّ ورؤية الله عز وجل تكون إلى العلوّ، فالذي ينكر العلوَّ ينكر الرؤيا، فهذه من النصوص القوية في اثبات هذا المعنى.

(وذكر ما ذكره يحيى بن سلام صاحب التفسير المشهورقال: حدثني المعلى بن هلال، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه»

وذكر حديث أسد بن موسي حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر عن أبي مسعود -رضي الله عنه- قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه».)

الشاهد فوقية الله عز وجل، اثبات الفوقيَّة.

(ثم قال: باب الإيمان بالحُجب.

قال: ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَاهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ وذكر آثارًا في الحُجب.)

هذه المسألة مسألة مهمة، وهي هذه اللفظة: (بائنٌ من خلقه). أهل السنة دائمًا يردُّون على المعطلة، وفي نفس الوقت يردُّون على الحلولية وأهلِ وحدةِ الوجود والاتحاد الذين يزعمون أن الله مُختلطٌ بخلقه، فيثبتون لله جل وعلا الصفات وأنه جل وعلا بائنٌ من خلقه مُنفصلٌ عنهم.

فهذا هو المقصود: أن الله بائن من خلقه، وهذه الكلمة يُذكر أن أول من أُثِرَت عنه: عبد الله بن المبارك لـمَّا رد على الجهمية، ومن زمن عبد الله بن المبارك إلى اليوم وأهل السنة يذكرونها فيثبتون لله الصفات وأن الله عز وجل منفصلٌ عن خلقه بائن منهم غير مختلطٌ بهم، غير ممتزجٌ بهم سبحانه وتعالى.

قال: (إن الله بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب) نبينا ﷺ لما عُرج به فسأله الصحابة: هل رأيت ربك؟ قال: «**نورٌ أنَّى أراه**»، وقال في الحديث الآخر: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه سبحانه وتعالى**» فهذا هو الحجاب.

(ثم قال: باب الإيمان بالنزول.

قال: ومن قول أهل السنة إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يُحِدُّوا فيه حَدًّا.)

أحاديث النُّزول كثيرة، وهذه الصفة وردت في السُّنة دون القرآن، والإمام الدارمي -رحمه الله- في ردِّه على بشر المريسي لما ذكر حديث النزول قال: (حديث النزول أغيظ حديث على الجهمية)؛ لأن فيه اثبات صفة العلو والنزول، وأيضًا الكلام، وهذا أكثر ما يغيظ الجهمية.

الجهمية قالوا: (القرآن مخلوق) فرارًا من اثبات صفة الكلام، ومستحيل أن يثبتوا العلو أيضًا، ومستحيل أن يثبتوا النزول، لأنه صفة فعليَّة لله عز وجل؛ ولذلك قال: (أغيَظُ حديث على الجهمية حديث النزول)؛ لكن أهل السنة يفرحون بحديث النبي ﷺ.

فيه كلمة قال: (ويؤمنون بذلك من غير أي يَحُدوا فيه حدًّا) يعني الايمان بهذه الصفات من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، ومن غير أن نذكر لوازم ما ذُكرت في الحديث ولا أُثرت عن السلف هل يخلو من العرش أو لا يخلو من العرش؟ ونحو ذلك من بعض المسائل التي خاض فيها المتأخرون، السلف لا يقولون بها، يُثبتون نزوله جل وعلا، ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى، ولا يمنع أن ينزل وهو فوق العرش.

وبعض الناس يسأل اليوم يقول: الليل ينتقل من بلدٍ إلى بلد؛ في بلد ليل وفي بلد نهار، نقول لهم ماذا؟ ليس كمِثله شيء، هذا الذي سأل هذا السؤال قاس الله بخلقه والله عز وجل لا يُقاس بخلقه سبحانه وتعالى، مثل هذا السائل الذي جاء لابن عباس -رضي الله عنه- فقال: يا ابن عباس كيف الله عز وجل يُحاسب الخلق في ساعة؟ يعني يوم القيامة، قال: (كما أنه يرزقهم في ساعة يحاسبهم في ساعة) سبحانه وتعالى، فالله عز وجل لا يُقاس بخلقه جل وعلا.

(وذكر الحديث من طريق مالك وغيره إلى أن قال: وأخبرنا وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال: (من أدركت من المشائخ -مالك وسفيان الثوري وفُضَيْل بن عياض وعيسى وابن المبارك ووَكِيع- كانوا يقولون: النزول حق.) قال ابن وَضَّاح: (سألت يوسف بن عَدِيّ عن النزول، قال: نعم أؤمن به ولا أحِدُّ فيه حدًّا.) وسألت عنه ابن معين فقال: (نعم أُقرُّ به ولا أحِدُّ فيه حدًّا.)

قال محمد: وهذا الحديث يُبيّن أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضًا بَيّنٌ في كتاب الله وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

وذكَر مِن طريق مالِكٍ قولَ النبي ﷺ للجارية: «**أين الله**»؟ قالت: «**في السماء**»، فقال: «**من أنا**»؟ قالت: «**أنت رسول الله**» قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**». قال: (والأحاديث مثل هذا كثيرٌ جدًّا، فسُبحان من عِلمه بما في الأرض كعِلمه بما في السَّماء، لا إله إلا هو العلي العظيم.)

وقال قبل ذلك: (باب في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه)، قال: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورُسله يَرَون الجهل بِما لم يُخبِر به الله تعالى عن نفسه عِلما)

هذه كلمةٌ أُثِرت عن بعض السلف وهي (أن من العِلم الجهل)، الجهل بماذا؟ الجهل بما لم يُخبرنا الله عز وجل به، أن تَعرف أن هذا شيء الله عز وجل لم يُخبرنا به فلا تخوض فيه، فالذي يخوض في كيفية صفات الله تبارك وتعالى هذا يخوض في أمرٍ يجب أن يَعلم أنه جاهلٌ به، وأن عِلمُه بأنه جاهلٌ به هذا مِن العِلم، لأن بعض الناس خصوصا الفلاسفة طريقة الفلاسفة أنه لا يوجد شيء لا يُبحث، لا يوجد شيء لا يعلمُه أحد، يضعون قواعد ومقدِّمات ولابد أن يصلوا إلى نتيجة، ولذلك

خاضوا في كل شيء وهذا من جهلهم وضلالهم، فلذلك هنا قال: (يرَون الجهل بما لم يُخبر به تعالى عن نفسه عِلمًا).

إذا علمتَ أن الله عز وجل لم يُخبرنا عن كيفية صفاته، أو عن شيء من أمور الغيب فاعلم أنَّك قد علمتَ بابًا من أبواب العلم، وهو أن هذا الباب باب يجب أن تعرف نفسك أنَّك جاهلٌ به، فلا تَخوضَ فيه.

(يَرون الجهل بما أن يُخبر به عن نفسه علمًا والعجز عمَّا لم يدعُ إليه إيمانًا وأنه إنَّما ينتهون من نصره بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيِّه، وقد قال الله تعالى -وهو أصدق القائلين-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يشَاء﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّماوات مَطويَّاتٌ بِيَمِينِه﴾، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وقال تعالى: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوم﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾؛ ومثل هذا في القرآن كثير.

فهوَّ تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، كما أخبر عن نفسه وله وجه ونَفْس وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويَسمع ويَرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده، الظَّاهر العالي فوقَ كل ماخلق والباطن بَطَن عِلمه بخلقه، فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، حيٌّ قيُّوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم)

(البَاطن) هذا اسم مِن أسماء الله عز وجل تضمَّن صِفة البُطون، وأهل العلم يُفسِّرون البُطون بِبُطون العِلم والإحاطة والقُدرة، فالبُطون ُطون صفاتٍ لا بُطون ذاتٍ، كما جاء في الحديث: «**أنتَ الباطن فليس دُونَك شيء**»، فهو بمعني القُرب والمَعِيَّة، فهو دنوٌّ وبُطونُ صفات لا ذات، فالله عز وجل فوق عرشه ومع خلقه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني بِصفاته وليس بذاته، وإنَّما ذاتُه فوق العرش جلّ وعلا.

(وذكر أحاديث الصِّفات ثم قال: فهذه صفات ربِّنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، لم تره العيون فتحده كيف هو، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به)

انتهى كلام ابن أبي زمنين، الآن سينقُل كلامًا للإمام الخطابي وهو كلامٌ متين ونفيس، والإمام الخطابي أول شارحٍ لصحيح البخاري وكتابه مطبوع اسمه "أعلام الحديث"، وله أيضًا شرح على سنن أبي داود اسمه "معالم السنن"، وهو من الأئمة الكبار الذين قرَّروا قواعِد اعتمد عليها كل من بعده حتى ابن تيمية كما سيمر معنا الآن.

(وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في "الغنية عن الكلام وأهله" قال: (فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها...)

انظر هذا كلام الخطابي ليس كلام ابن تيمية، متى توفي الخطابي؟ في القرن الرابع، يقول:(مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها) كلامٌ متين.

(ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه...)

هذا فيه تقريرٌ لوسطيَّة السلف بين مذهب التعطيل ومذهب التشبيه.

(والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات)

انظر هذا كلام الخطابي، يقول: (الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات) هذه القاعدة من كلام الخطابي اعتمدها كثير من أهل العلم وكررها كثيرًا ابن تيمية في كثير من كتبه في الحموية هنا انظروها تجدون هذه القاعدة، إذا ذهبتم إلى قواعد ابن تيمية في التدمُرية تجدون القاعدة، ودائمًا تجدون ابن تيمية -رحمه الله- يقرّر هذه القاعدة، هذا من كلام الإمام الخطابي -رحمه الله- وهذه فائدة، هذه النقول التي نقلها الشيخ تُبين لنا أن مذهب السلف واحدٌ كلهم على اختلاف مذاهبهم.

(الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، يحتذى في ذلك حذوه وأمثاله، فإذا كان معلومًا أن إثبات ذات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: يدٌ وسمعٌ وبصرٌ وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد: القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر: العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات) هذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قال أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك.

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نَقل نحوًا منه من العلماء ما لا يحصى، مثل: أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمار السجزي شيخُ شيخِ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي صاحب منازل السايرين، وذمَّ الكلام وهو أشهر من أن يوصف، ومثل: أبي عثمان الصابوني شيخ الإسلام، وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام أهل المغرب وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب "الحلية" في عقيدة له في أولها: (طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال: فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بهما ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، ولا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه))

هذا كلام أبو نُعَيم، توفي في القرن الخامس قبل ابن تيمية، ويقرِّر ما قرره السلف -رحمهم الله-، آخر عبارة في كلام أبو نُعيم قال: (في سمائه دون أرضه وخلقه)، هنا (دون) بمعنى بائنٌ من خلقه، نفس الكلمة التي تقدّمت معنا، معناها بائنٌ من خلقه دون أرضه، بائنٌ منهم، بائنٌ عن أرضه وخلقه يعني مُنفصل عنه.

(وقال الشيخ أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله في كتابه "محجة الواثقين ومدرجة الوامقين" تأليفه: (وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية إنه بكل مكان، خلافًا لما نزَّل في كتابه: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ له العرش المستوي عليه والكرسي

الذي وسع السماوات والأرض، وهو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وكرسيه جسم، والسماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية، بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ)

فكلامه كلُّه قد دلت عليه النصوص سواء في إثبات الاستواء أو في إثبات العرش وإثبات الكرسي، لكن الشاهد من كلامه هنا أنه أنكر مقالة الاستيلاء وجعلها من مقالات الجهمية فقال: (أنه عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية)، وأيضًا لما تكلم عن الكرسي أثبت أن الكرسي مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، وليس كرسيه علمه كما تقول الجهمية، فهُم كما أوَّلوا الاستواء أوَّلوا الكرسي، جعلوا الكرسي هو العلم، علم الله تعالى، وهذه المقالة ليست مقالةً للسلف.

(وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًّا صفًّا كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين، ويعذب من يشاء؛ كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾.

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني ـ شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده ـ)

طبعا نؤكد على قضية: أن الصوفية الأوائل كان عندهم فقط في باب العبادة، وفي باب الإكثار من العبادة والزُهد، وكذا عندهم أمور بالغوا فيها فقط، لم يكن عندهم كالصوفية القبورية لم يكن عندهم انحراف في التوحيد عمومًا لا في توحيد العبادة ولا في الصفات.

لكن الصوفية المتأخرون هم الذين حصل عندهم كل شيء سواء في القبور أو في الصفات أو شطحات ابن عربي ووحدة الوجود ونحو ذلك، لكن هذا في المائة الرابعة، في القرن الرابع، هو وغيره كما سيأتي، هؤلاء كانوا على عقيدة السلف في باب الإيمان بالله تبارك وتعالى.

وهذا مهمٌ للاستشهاد بكلامهم لأنهم عند عامَّة الصوفية أشخاصٌ لهم مكانتهم ولهم شأنهم، فنُبيِّن أن هؤلاء الأوائل لم يكونوا على طريقة الصوفية المتأخرين فالأولى لمن كان يقتدي بهم أو يأتسَّى بهم أن يسلُك سبيلهم في توحيد الأسماء والصفات، والأهم من ذلك كله أن الأُمَّة كانت مطبقةً على عقيدة واحدة وهي عقيدة الإثبات.

(قال: (أحببت أن أوصي أصحابي بوصيةٍ من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه عز وجل بائنٌ من خلقه، والخلق منه بائنون بلا حلولٍ ولا ممازجةٍ، ولا اختلاطٍ ولا ملاصقةٍ، لأنه المنفرد البائن

من خلقه، الواحد الغني عن الخلق. وأن الله عز وجل سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر**»، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا))

الصُفوة من العارفين يعني الصوفية، أصحابه، هذه كانت عقيدتهم عقيدةٌ واضحة، عقيدةُ السلف كانوا على عقيدة واضحة.

(وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في كتابه "السنة" حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا إبراهيم بن الحارث ـ يعني العبادي ـ حدثنا الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر ـ وهو صاحب الفُضيل ـ قال: سمعت الفُضيل بن عياض يقول: (ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله عز وجل وصف نفسه فأبلغ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه. وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع. فليس لنا أن نتوهَّم كيف وكيف...)

يعني بالمباهاة، ويباهي الله عز وجل كما ثبت عشيَّة عرفة، يغفر لأهل عرفة ويباهي بهم ملائكته سبحانه وتعالى وهذا من مواطن النزول نزول الله عز وجل.

(فإذا قال الجهمي: أنا كافر بربٍّ يزول عن مكانه)

لماذا فسر النزول بالزوال من المكان؟ لأنه قاس الله بخلقه فقال: (أنا كافر برب يزول عن مكانه)، لأنه فهم أنه إذا أثبت النزول أثبت زوال الله عز وجل عن مكانه وعن عرشه، فهو قاس الله بخلقه، ونحن قد عرفنا أن الجهمية المعطلة ما الذي جعلهم يقولون بالتعطيل؟ اعتقاد التشبيه، اعتقدوا التمثيل أولًا ثم عطَّلوا.

(فقُل: أنا أُؤمن بربٍّ يفعل ما يشاء)

إذا قال الجهمي أنا كافرٌ بربٍّ يزول من مكانه فقل: أنا أؤمن بربٍّ يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى وهذا من كلام الفضيل ابن عياض.

(ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري في "خلق أفعال العباد". ونقله شيخ الإسلام بإسناده في كتابه "الفاروق"، فقال: حدثني يحيي بن عمار، ثنا أبي ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا حَرَميّ بن على البخاري، وهانئ بن النضر عن الفضيل.

وقال عمرو بن المكي في كتابه الذي سماه "التعرف بأحوال العُبَّاد والمُتعَبِدين"...)

عمرو بن عثمان المكي هو من المعدودِ أيضًا من الصوفية الأوائل.

(قال: (ما يجيء به الشيطان للتائبين) وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد، فقال: (من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكيك أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل). فقال بعد ذِكر حديث الوسوسة: (واعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن كُلَّ ما توهمه قلبك، أو سَنَح في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو شبح مائل، أو شخص متمثل: فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، أي لا شبيهَ ولا نظيرَ ولا مساوٍ ولا مثل، أَوَلَمْ تعلم أنه تعالى لما تجلَّى للجبل تدكدك لعظم هيبته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فرُدّ بما بين الله في كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ.

فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تبارك وتعالى وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ فقال لك: إذا كان موصوفًا بكذا أو وصفته أو جبت له الشبهة فأكذبه، لأن اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى.

فاعلم -رحمك الله- أن الله واحدٌ لا كالآحاد، فردٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد) إلى أن قال: (خلصت له الأسماء السَّنِيَّة فكانت واقعةً في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالى صفة كان منها بريًّا خليًا، أو اسمًا كان منه بريًا تبارك وتعالى، فكان هاديًا سيهدي، وخالقًا سيخلق، ورازقًا سيرزق، وغافرًا سيغفر، وفاعلًا سيفعل، لم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفته أنه سيكون في ذلك الفعل...)

هذه العبارات كلها أهل السنة يقرِّرون أن الله لم يزل ولا يزال متصفًّا بالصفات سبحانه وتعالى، يعني لم تحدث له الصفة لم يتَّصف بها، بل الله عز وجل لم يزل ولا يزال متصفًّا بالصفات سبحانه وتعالى.

(فهو تسمى به في جملة فعله كذلك، قال الله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾)

هذه المسألة مرَّت معنا للذين حضروا "الطحاوية"؛ مسألة تسلسل الحوادث توسعنا فيها نوعًا ما؛ خُلاصة الأمر أن الله عز وجل لم يزل ولا يزال متصفًّا بصفات سبحانه وتعالى.

(قال الله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، بمعنى أنه يجي، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجودًا بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه، لأن ذلك فعل الربوبية، فتنحسر العقول وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلًا، ولا مشبهًا، وارضَ لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلمًا، مستسلمًا، مصدقًا؛ بلا مباحثة التفسير ولا مقايسة التفكير). إلى أن قال: (فهو تبارك وتعالى القائل: ﴿أنا اللهُ﴾ لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائيًا...)

طبعًا ليس من أسماء الله عز وجل الجائي ولا الشائي، ولا المتجلي ولا المستوي لكن هذا من باب إضافة الصفات إلى الله عز وجل.

(لا أمره المتجلي لأوليائه في الميعاد؛ فتبيَضُّ به وجوههم، وتَفْلُج به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تبارك وتعالى، الذي كلم موسى تكليمًا، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قَرَّبَه نَجِيًّا، تقدس أن يكون كلامه مخلوقًا أو محدثًا أو مربوبًا، والوارث لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسادهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته خلق آدم ونفخ فيه من روحه)

هذا فيه رد على هذا في قوله يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته، ردٌّ على مقالة المُؤوِّلة الذين قالوا اليد بمعنى النعمة.

(قال: خلق آدم ونفخ فيه من روحه - وهو أمره - وتقدس وتعالى أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم أو يلاصق به تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا، ليتقرب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يُشبَّه بالناس.) إلى أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، القائل: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوًا كبيرًا).

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى "فَهْم القرآن"...)

هذا أيضًا هذا الحارث بن أسد المحاسبي من شيوخ المتصوفة لكنه متقدم جدًّا، كان في زمن الإمام أحمد -رحمه الل-ه وستجدون الآن إن شاء الله تقريره لعقيدة الإثبات.

(قال في كلامه على - الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار- قال: (لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسمائه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء)، إلى أن قال: (وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنيَّةً سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك.

فإذا عرفتَ ذلك واستيقنته علمتَ ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره؛ كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾ إلى أن قال: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ الآيات. وقوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾)

وقال: (وقد تأول قوم أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار إذ قد آمن عند الغرق، وقالوا: إنما ذكر الله قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ دونه، وقال: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وقال: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ولم يقل بفرعون، وقال: وهكذا الكذب على الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علمًا بشيء، لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة.

قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ قال: وإنما قوله ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ إنما يريد حتى نراه، فيكون معلومًا موجودًا)

هذه المسألة مسألة مهمة، وهي متعلقة بعلم الله تبارك وتعالى، أولا لا بد أن نعلم ان العلم نوعان:

- علمٌ سابق

- وعلمٌ لاحق.

والله تعالى يعلم كل شيء، علمه محيط بكل شيء، يعلم بالكائنات قبل وقوعها وبعد وقوعها سبحانه وتعالى، ولا يحدث له بُدُوٌّ كما يحدث للبشر، لا يحدث لله عز وجل بُدُوّ.

ما الذي يحصل عنده بدو؟ وهذه عقيدة البَداء يقول بها الرافضة ومن سلك سبيلهم، البدوُّ والبداء هذا يحصل للجاهل بالعواقب، يحصل لنا كلنا كل إنسان يريد أن يفعل شيء ويظن أن هذا الذي كان يريد أن يفعله هو عين اليقين وهو الحق، ثم يظهر له ويبدو له أن الذي كان يريده باطل، وخلاف الصواب، صح؟ هذا هو البداء والبدو، وهذا لا يقع إلا للجاهل بالعواقب والله عز وجل عليم الحكيم الخبير، معنى اسم **الخبير**: العالِم ببواطن الأمور سبحانه وتعالى.

فهذا هو معنى البداء والبدو، فالله عز وجل لا يحدث له بدوّ، قال هنا الحارث بن أسد (حتى نراه)، وهذه من الكلمات التي أنكرها الإمام أحمد على الحارث ابن أسد.

إذا تقرر عندنا أن الله عز وجل يعلم بكل شيء، بالسابق واللاحق، وأن الله يعلم بالكائنات قبل وقوعها وبعد وقوعها، ولا يحدث له بدوّ وبداء، فلا يصحّ بعد ذلك تفسير العلم بالرؤية كما فسرها الحارث بن أسد، فلا يصح أن نقول في قوله تعالى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾، يعني: حتى نرى، هذا الموطن من المواطن التي أنكرها الإمام أحمد على الحارث المحاسبي، وقد نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية نفسُه -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى"، في المجلد السادس صفحة مئة وستة وثمانين، أو قبل ذلك، من الصفحة مئة وواحد وثمانين إلى مئة وستة وثمانين تكلم كلام طويل -رحمه الله- في المجلد السادس.

الشاهد أن هذا من المواطن التي أنكرها الإمام أحمد على الحارث بن أسد المحاسبي، وابن تيمية في مواطن تكلم عن هذه المسألة، لكن هنا لماذا ما أنكرها على الحارث بن أسد؟ لأن كما عرفنا أن الشيخ قصد بهذه النُّقول بيان عقيدة الإثبات، وأنه لا يتعقَّب كل شيء مما حكاه الناس خصوصًا هؤلاء الصوفية.

(لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدومًا قبل أن يكون، ويعلمه موجودًا أن قد كان، فيعلم في وقت واحد معدومًا موجودًا أن قد كان وإن لم يكن، وهذا المحال) وذكر كلامًا في هذا في الإرادة إلى أن قال: (وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ليس معناه أن يحدث له سمعًا، ولا تكلف لسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قومٌ من أهل السنة أن لله استماعًا حادثًا في ذاته، فذهبوا إلى ما يعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قوله؛ لأن المخلوق إذا سمع الشيء حدث له عقد فهم

عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، لا يستحدث بصرًا محدثًا في ذاته، أن يكون وُجد بعلمٍ موجودًا قد كان فيعلم في وقت واحدٍ أنه معدوم موجود أن قد كان وإن لم يكن، وهذا محال في ذاته محدثًا وإنما يحدث الشيء فيراه مكونًا كما لم يزل يعلم قبل كونه.)

إلى أن قال: (وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾))

المُلاحَظ الآن على كلام الحارث بن أسد مع الاستدراك الذي استدركناه، وقد استدركه عليه الإمام أحمد، المُلاحَظ عليه أن مقالته مخالفة تمامًا لمقالة المعطِّلة، أبدًا ليس من أهل التعطيل، ومخالفٌ تمامًا لمذهب الجهمية، بل هو على عقيدة السلف -رحمهم الله-.

انظروا كيف يستدل بالآيات ويسوقها خصوصًا آيات العلو، هذا دليل على ماذا؟ على أنه يُثبت هذه الصفات كما أثبتها السلف -رحمهم الله تعالى-، ولماذا هذه الكثرة في النُّقول؟ لأن وُجد في السابق واليوم يوجد من يقول أنَّ عامَّة المسلمين على عقيدةِ كذا وكذا إما أشاعرة أو ماتريدية أو معطلة أو مؤوِّلة... أين عامَّة الناس؟ هذا كلام الناس من قرون طويلة جيل بعد جيل كلهم على عقيدة السلف؛ عقيدة الإثبات لا تعطيل ولا تأويل ولا تفويض.

(وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وذكر الآلهة أن لو كانوا آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا إلى طلبه حيث هو، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

وقال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك أبدًا، فإذا تلوت ما يكون كأنه نسخ أو خلاف لمثل هذا الظاهر، فاعلم أنه ليس بنسخ ولا بمضادٍ لهذا.)

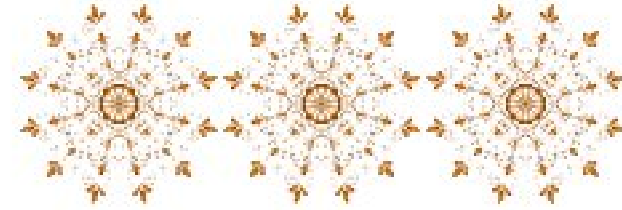
من قواعِد أهل العلم في باب النسخ والناسخ والمنسوخ: أن الناسخ المنسوخ يكون في الأحكام، لا يكون في العقائد أبدًا، وهذا أمر مهم جدًا، ولا يكون في الأخبار، أخبار الغيب وأخبار الماضيين.

(قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، الآية، فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك.

واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله تعالى أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء، أو يتنقل فيها لانتقالها، ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها، جل وعز عن ذلك.

وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائنًا كما هو في العرش، ولا فرق بين ذلك عندهم ثم أحلوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه؛ لأن كل من يثبت شيئًا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغنِ عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنًا ثم نفوا معنى ما أثبتوا، فقالوا: لا كالشيء في الشيء، فأحلوا ما كان في الشيء، فهو كالشيء في الشيء.)

نقف عند هذا الموطن والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الـدَرسُ السّادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نواصل القراءة ولا نزال نقرأ في النَّقل الطويل الذي نقله ابن تيمية -رحمه الله- عن الحارث المُحاسِبِي:

(قال أبو عبد الله: أما قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾، و ﴿سَيَرَى اللَّهُ﴾، و ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، فإنَّما معناه حتى يكونَ الموجُودُ فيَعلمَهُ موجودًا ويَسمعهُ مَسموعًا ويُبصرُه مُبصَرًا لا على استحداث علمٍ ولا سمعٍ ولا بصر)

عرفنا أن هذا الكلام يعني محلُّ نظر، وأهل العلم استدركوا على الحارث هذا الكلام، ولذلك المُحقِّق جزاه الله خيرا، نقل نقلًا طويلًا عن ابن تيمية في هذه المسألة.

(وأما قوله وإذا أردنا إذا جاء وقت كَونُ المُراد فيه، أما قوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، و ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، فهذه وغيرها مثل قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، هذا مقطع يوجبٌ أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها، مُتنزِّهٌ عن الدُّخول في خَلقِه، لا يخفى عليه منهم خافية)

هذا هو الشاهد من هذا النقل، يعني هذه النصوص الكثيرة عن الحارث -رحمه الله- التي دلَّلَ فيها بآيات كثيرة، أن هذه الآيات كلها تقطع بأنه جل وعلا فوق العرش، وأنه لا تفسير لهذه الآيات إلا هذا المعنى؛ لأن هذه الآيات تكررت كثيرًا في القرآن، فهو يُقرِّر استواء الله عز وجل على عرشه وفَوقيَّته على عرشه كما كان السلف -رحمهم الله-.

(هذا مقطعٌ يُوجِبُ أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها مُتنزّهٌ عن الدُّخول في خَلقِه)

قوله (متنزه عن الدُّخول خَلقِه) مثل قولِهِ (بائنٌ من خَلقِه) مُتنزِّهٌ عن الدُّخول في خَلقِه هي بمعنى قوله بائنٌ من خلقِه.

(لا يخفى عليه منهم خافية؛ لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاتَه بِنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾، يعني فوق العرش، والعرش على السماء؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ﴾، يعني على الأرض لا يُريد الدُّخول في جوفها)

يعني أراد في هذه العبارة الأخيرة أن يُبيِّن أن قوله جل وعلا: ﴿مَن فِى السَّمَاءِ﴾، (في) هنا بمعنى (على)، كقوله ﴿فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ﴾، فسيحوا في الأرض يعني على الأرض ليس ادخلُوا داخل الأرض، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾، يعني على جذوع النَّخل، ف(في) بمعنى (على) هذا هو.

(وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾، يعني فوقها عليها، وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ﴾، ثم فصل فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ ولم يصف، فلم يكن لذلك معنى، إذ فصل قوله: ﴿مَّن فِى السَّمَاءِ﴾، ثم استأنف التَّخويف بالخسف، إلا أنه على عرشه فوق السماء، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ الآية، وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، فبيَّن عُروجَ الأمرِ وعروجَ الملائكة، ثم وَصَف وقتَ صُعودِها من ارتفاعٍ صاعدةً إليه فقال: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾، فقدَّر صُعودها إليه وفصَله مِن قوله (إليه) كقول القائل: (أصعدُ إلى فلانٍ في ليلةٍ أو يوم)؛ وذلك أنه في العلو وأنَّ صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه إلى ارتفاعٍ في علوهم، فإنهم صعدوا من الأرض وعرَجوا بالأمر إلى العلو الذي الله تعالى فوقه، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، ولم يقل عنده)

قوله جل وعلا: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ﴾ هنا وأراد بِها الفَوقيَّة، صح؟ يعني على السماء، وقوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾، هنا أراد الزمن، وهذا من معاني هذا الحرف، والحروف في اللغة العربية تأتي لِأكثر مِن معنًى، فحرف (في):

- تارة يأتي يُراد به المكان.
- وتارة يأتي يُراد به الزَّمان.

والذي يدل أو يحدد المعنى هو السِّياق؛ سياق هذا الحرف.

(وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، ثم استأنف الكلام فقال:﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾؛ أي فيما قال لي أنَّ إلهه فوق السماوات، فبيَّن الله عز وجل أن فرعون ظنَّ بموسى عليه السلام أنه كاذبٌ فيما قال له وعمله لِطلبه، حيث قاله مِن الظن بموسى أنه كاذب ولو أن موسى قال إنه في كل مكان بذاته وفي بيته أو ببدنه أو حشِّه فتعالى الله عن ذلك، ولم يُجْهِد نفسَه ببُنيَان الصَّرح)

يعني كلامه عن فرعون وموسى، الآن كلام فرعون لما قال لِهامان وزيرِه، أمَره أن يبني له صرح يعني برج طويل وبناء طويل، لكي يصعد عليه ويرى إله موسى، هذا يدل على ماذا؟ على أن موسى قال إلهي فوق، فوق السماء، لو قال له إن إلهي في كل مكان ما أمره أن يبني له هذا الصرح.

(قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها الله وأبان في تلاوتها لا يُريد أنه كائن في الأشياء بِنفسه إذ وَصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾، فأخبر بالعِلم ثم أخبر أنه مع كلِّ مناجٍ، ثم ختم الآية بالعِلم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، فبدأ بالعِلم وخَتم بالعِلم)

وهذه الآية من الآيات التي يتمسك بها هؤلاء الذين يقولون أن الله في كل مكان، وهم هكذا تركوا ألف دليل يدل على علو الله وفَوقِيَّته وتمسكوا بآيتين أو آية أو ثلاث آيات حمَّلوها ما لا تحتمل

وزعموا أنها تدل على أن الله في كل مكان!! ينطبق عليهم قول عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾

فهذه الآية آية النجوى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾

ماذا؟ ﴿وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، قالوا إذن الله في كل مكان، وهذا لا يدل على أن الله في كل مكان بذاته وإنما بعلمه، هو معهم أينما كانوا بعلمه، بدليل أن الآية بدأت بالعلم وخُتمت بالعلم، وهذه هي المعيَّة التي يثبتها العلماء، معية الله لخلقه أنه معهم بعلمه سبحانه وتعالى.

(فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم ولو اجتمع قوم في السفل وناظر إليهم في العلو، فقال: إني لم أزل أراكم، وأعلم مناجاتكم لكان صادقًا ـ ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق ـ فإن أبَوْا إلا ظاهر التلاوة، وقالوا: هذا منكم دعوى، خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم، ومن كان مع شيء فقد خلا منه جسمه وهذا خروج من قولهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد كله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فلم يقل في السماء ثم قطع كما قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم قطع فقال:﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾، فقال:﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فأخبر أنه إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول فلان أمير في خراسان وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند وإنما هو في موضع واحد، ويخفي عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره، فهو إله فيهما إذ كان مدبرًا لهما، وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى عن الأشباه والأمثال.)

كلمة **إله معناها**: المألوه المعبود، الإله معبود؛ لذلك أهل العلم لما فسروا لا إله إلا الله قالوا ماذا؟ لا معبود بحقٍ إلا الله، فمعنى إله، يعني: معبود، فهذه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾، يعني: هو معبود في السماء ومعبود في الأرض.

يعني هم تركوا الآيات والأحاديث الواضحة كالشمس وذهبوا إلى آيتين أو ثلاث يزعمون أنها تفيد أن الله في كل مكان، والقرآن لا يتعارض، يفسّر بعضه بعضًا.

(وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه النبي سلمان)

وهذا من شيوخ الصوفية أيضًا القدماء

(في كتابه اعتقاد التوحيد والصفات، قال في آخر خطبته:

فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه وقدره قولًا واحدًا وشرطًا ظاهرًا وهم الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله وسلم ذلك حتى قال: «**عليكم بسنتي**»، وذكر الحديث، وحديث «**لعن الله من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا**» وقال: فكانت كلمة الصحابة على اتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا كما نُقل إلينا سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عن خاصتهم وعامتهم حتى أدوا إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك إلينا قرنًا بعد قرن، لأن الاختلاف كان في الأصل عندهم كفر، ولله المنة.)

هذا الكلام من ابن خفيف فيه فائدةٌ مهمة وهي أن السلف لم يختلفوا في العقيدة، وآكد من ذلك أن الصحابة لم يختلفوا في العقيدة، عقيدتهم واحدة، لم يعتقد بعض الصحابة عقيدة والبعض الآخر عقيدة أخرى، أبدًا كلهم كانوا على عقيدة واحدة، فالصحابة كلهم كانوا على عقيدة واحدة، العقائد هذه خرجت متى؟ بعد ظهور علم الكلام إلى آخر ذلك.

فالصحابة -رضي الله تعالى عنهم- ما كان فيهم مرجئ أو قدري أو جهمي أو خارجي أو أي شخص منتحل نِحلةً من هذه النِّحل وهذه البدع أبدًا، وما يثيره البعض من أن الصحابة اختلفوا في العقيدة في مسألة كذا وكذا، هي في الحقيقة ليست مسائل يقال فيها إنهم اختلفوا في العقيدة، يعني أن هذا كان على عقيدةٍ تختلف عن عقيدة هذا الصحابي أبدًا.

يعني مثل مسألة هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج؟ هذا اختلاف في فهم النص أو في بلوغ هذا النص، بعض الصحابة بلَغهم وبعضهم لم يبلُغهم؛ لكن لا يعني هذا أنهم بعضهم كان على

عقيدةٍ تختلف عن البعض الآخر، الصحابة كلهم كانوا على عقيدةٍ واحدة -رضي الله تعالى عنهم-، وهذا أصلٌ عظيم لا بد أن يكون مستقرًّا عندنا، لماذا؟ دائما نؤكد هذا الشيء؛ لأن النبي ﷺ لما ذكر الافتراق وذكر الفرقة الناجية فقالوا من هي يا رسول الله؟ هي فرقة واحدة صح؟ يعني عقيدة واحدة، قال: **«هم من كانوا على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**، هذا دليل على أن الصحابة عقيدتهم هي عقيدة النبي ﷺ، فلم يختلفوا في العقيدة.

(ثم إني قائل ـ وبالله أقول ـ إنه لما أحدثوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين، فخاض في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار معولهم على أحكام هواجس النفوس المستخرجة من سوء الظن على مخالفة السنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها الكلابية، فتأولوا على ما وافق أهوائهم، وصححوا بذلك مذاهبهم: احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين ومنهاج الأولين، خوفًا من الوقوع في جملة أقوالهم التي حذر رسول الله ﷺ منها ومنع المستهدفين لهم حتى حذرهم.

وذكر أبو عبد الله خروجه ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه.

وحديث: **«لا أُلْفَيَنَّ أحَدَكم متكئًا على أريكته»** وحديث: **«ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»** وأن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه، ثم قال: فلزم الأمة قاطبةً معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان، المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدَثة، فيتصل ذلك قرنًا بعد قرن ممن عُرفوا بالعدالة والأمانة، الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.

إلى أن قال: فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها: ذكر أسماء الله عز وجل وصفاته مما ذكر الله تعالى في كتابه، وما بيَّن ﷺ من صفاته في سنته، وما وُصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك، مما لا يجوز لنا في ذلك أن نردّه إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أُمرنا بالاستسلام له.)

انظر! ابن خفيف توفي سنة ثلاث مئة وواحد وسبعين للهجرة، وذكر أقسام التوحيد: توحيد الألوهية، وسماه توحيد الألوهية، وهذا يدل على أن هذا ليس بدعةً أتى بها محمد عبد الوهاب ولا ابن تيمية، بل ذكره هذا الشيخ من المشايخ المعدودين من العُبَّاد والزُّهاد والنُّساك، والذين هم بالجملة في باب التوحيد على عقيدة السلف.

والمهم في هذا أنه توفي في القرن الرابع، وهذا يؤكِّد لنا قضية ذكرناها لمّا مررنا بكلام الطحاوي، لمّا ذكر أقسام التوحيد في الطحاوية، والطحاوي توفي ثلاث مئة وواحد وعشرين أيضًا، توفي في أول القرن الرابع، فتقسيم التوحيد أمر مستقر عند أهل العلم، ليست بدعةً أحدثها ابن تيمية ولا محمد

عبد الوهاب، لذلك تجدون هذا كثير في كلام العلماء المتقدمين خصوصًا في القرن الرابع؛ تجدون في تفسير ابن جرير شيء كثير، تجدون في كلام البخاري شيء كثير جدًّا سواء في خلق أفعال العباد أو في بعض تراجم الإمام البخاري في صحيحه، تجدون في كلام أبي عبد الله ابن بطة العُكبَري في الإبانة وغيرهم رحمهم الله، فهذه فائدة من هذا النص.

(إلى أن قال: ثم إن الله تعالى تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية وإقرارٍ بالألوهية: أن ذكر تعالى فقال في كتابه بعد التحقيق بما بدأ به من أسمائه وصفاته، وأكده عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله: لا إله إلا الله.

إلى أن قال: بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل، فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾. ولصحة ذلك واستقراره ناجاه المسيح عليه السلام فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، وقال عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

وأكدّ ﷺ صحة إثبات ذلك في سنته فقال ﷺ: يقول الله عز وجل: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي».

وقال ﷺ: «**كتب في كتابه بيده على نفسه: إن رحمتي غلبت غضبي**».

وقال: «**سبحان الله رضا نفسه**»، وقال في محاجة آدم لموسى: «**أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه؟**».

فقد صح بظاهر قوله أنه أثبت لنفسه نفسًا، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدّق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، ويكون ذلك مبنيًّا على ظاهر قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾.)

طبعا **النفس يراد بها**: الذات، وبعض أهل العلم من أهل السنة جعلها صفة مستقلة غير الذات، لكن أكثرهم على أن النفس هي بمعنى الذات.

(ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به ﷺ، وإن مما قص الله علينا في كتابه، ووصف به نفسه، ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثم قال عقيب ذلك: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، وبذلك دعاه ﷺ؛ فقال:

«أنت نور السماوات والأرض»، ثم ذكر حديث أبي موسى: **«حجابه النور -أو النار- لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**. وقال: سبحات وجهه: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبى عبيد، وقال: قال عبد الله بن مسعود: (نور السماوات من نور وجهه)

ثم قال: ومما ورد به النص قوله عزوجل إنه حي، وذكر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، والحديث: **«يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»**

قال: ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهًا، موصوفًا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهًا وذكر الآيات

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم وقال: وفي هذا الحديثِ من أوصاف الله عزوجل أنه لا ينام، موافق لظاهر الكتاب: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وأنَّ له وجهًا موصوفًا بالأنوار، وأنَّ له بصرًا، كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير.

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك

ثم قال: إن الله تعالى تعرف إلى عباده المؤمنين، أن قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الآيات والأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبى الصلت ثم ذكر حديث: **«يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله»**. وهي رواية البخاري، وفي روايةٍ أخرى: **«يضع قدمه عليها»**.

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله، وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السُّدِّي وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: (موضع قدميه)، وبعضهم يقول: (واضع رجليه عليه).

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء الائمة من صدر هذه الأمة، موافقة لقول النبي ﷺ، متداولة في الأقوال، ومحفوظة في الصدور، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظائرهم تلقتها الخاصة والعام مدونةً في كتبهم إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه وعمدوا إلى الأخبار، فعملوا في دفعها على أحكام المقاييس...)

سبحان الله، هذا كلام صوفي، يعني لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌ منه، هذا كلام الصوفية في ذاك الزمان فكيف أهل السنة في ذاك الزمان؟ يعني مثل هذا ابن خفيف كان يعني يعد من الصوفية قد تجدون تحذير منه أو إنكار عليه من بعض السلف، هذا الآن بالنسبة لنا الآن إمام من أئمة أهل السنة سبحان الله.

(وكفَّروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس، وجوابه لنجدة الحروري ثم ذكر حديث الصورة وذكر أنه صنف فيه كتابًا مفردًا واختلاف الناس في تأويله، ثم قال: وسنذكر أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المُثبِتة إن شاء الله.

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها: وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الأمة.

ثم قال: وكان اختلاف في خلق الأفعال، هل هي مقدرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة وذكر إثبات القدر. ثم ذكر الخلاف في أهل الكبائر وهي مسألة الأسماء والأحكام، وقال: قولنا: إنهم مؤمنون على الإطلاق، وأمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصله التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه.

وقال: قولنا: إنه يزيد وينقص.

قال: ثم كان الاختلاف في القرآن: مخلوقًا أو غير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا: أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه صفة لله تعالى.

منه بدأ قولًا وإليه يعود حكمًا، ثم ذكر الاختلاف في عذاب القبر وذكر الاختلاف في الرؤية وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يُرى يوم القيامة، ثم ذكر الحجة. ثم قال: واعلم رحمك الله أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المُحدِّثين في كل الأزمة، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجُمل من العُقود.

فنقول ونعتقد: أن الله عز وجل له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سماواته بكمال أسمائه وصفاته، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، و: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾، ولا نقول إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه؛ لأنه عالِم بما يجري على عباده ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

إلى أن قال: ونعتقد أن الله خلق الجنة والنار وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

إلى أن قال: ونعتقد أن النبي ﷺ عُرِج بنفسه إلى سدرة المنتهى.

إلى أن قال: ونتعقد أن الله قبض قبضتين فقال: «**هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار**».

ونعتقد أن لرسول الله ﷺ حوضًا، ونعتقد أنه أول شافع وأول مُشَفَّع، وذكر الصراط والميزان والموت وأن المَقتول قُتل بأجله واستوفى رِزقه.

إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فيبسُط يده ويقول: «**ألا هل من سائل**» الحديث، وليلة النِّصف من شعبان وعشية عَرفة وذكر الحديث في ذلك.

وقال: ونعتقد أن الله يتولى حساب الخلق بنفسه.

قال: ونعتقد أن الله كلَّم موسى تكليمًا واتخذ إبراهيم خليلًا وأن الخُلَّة غير الفقر لا كما قال أهل البدع.

قال: ونعتقد أن الله تعالى خصَّ محمدًا ﷺ بالرؤية واتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا.)

قوله: (ونعتقد أن الله كلم موسى تكليمًا واتخذ إبراهيم خليلًا وأن الخلة غير الفقر لا كما قال أهل البدع).

الخُلّة: هي غاية المحبة وأعلى درجات المحبة، فإثبات الخلة لله عز وجل هو إثبات صِفةٍ، لكن بعض هؤلاء الجهمية أوَّلها، فقالوا: المقصود بالخلة الفقر؛ يعني: فقر العبد إلى الله وهذا تأويل للصفة، وهذا باطل؛ ولذلك بيَّن هذه المسألة، والمحبة كما هو معلوم من الصفات الخبرية من الصفات الاختيارية -الصفات الفعلية- التي ينكرها عامة الجهمية.

(قال: ونعتقد أنَّ الله تعالى اختصَّ بمفتاح خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية.

ونعتقد أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا.

ونعتقد الرضا بقضاء الله والصبر على أحكام الله.

ونعتقد المسح على الخفَّين: ثلاثًا للمُسافر، ويومًا وليلةً للمُقيم.

ونعتقد الصبر على السّلطان من قريش...)

الصبر على السلطان عمومًا؛ سواء كان من قريش أو من غير قريش.

(ونعتقد الصبر على السّلطان من قريش؛ ما كان منهم من جورٍ أو عدلٍ، ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماضٍ إلى يوم القيامة.

والصلاة في الجماعة حيث يُنادى لها واجب؛ إذا لم يكن عذر أو مانع، والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدًا فهو كافر، والشَّهادة والبراءة بدعة.

والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة.

ولا ننزل أحدًا جنة ولا نارًا حتى يكون الله هو الذي يُنزلهم، والمراء والجدال في الدِّين بدعة)

الشهادة والبراءة هذه من كلمات الرافضة؛ يعني: البراءة من كذا من الصحابة من كذا وكذا، والشهادة لآل البيت بكذا وكذا، فإن كان بعضهم يقول: الولاية والبراءة، وبعضهم يقول: الشهادة والبراءة؛ ولذلك أهل العلم في العقائد ينصون على أن هذه من البدع.

قوله: (والمراء والجدال في الدين بدعة)، هذا أمر كثير تكرر في كلام السلف؛ تجدوه في "أصول السنة" للإمام أحمد، تجدوه في "شرح السنة" للبربهاري، وهذا يدل على أن المناظرة في العقيدة ليست أصل، لا يُبتدأ بها، إنما تكون عند الضرورة وعند الحاجة.

الأصل نصيحة الناس ودعوتهم للخير، وليس كل أحدٍ يناظر الناس، بل العلماء وأهل العلم أهل العقل أهل الحكمة؛ لأن المناظرة -خصوصًا لهؤلاء أهل البدع الذين عندهم شبهات- ربما تكون فتنةً هذه المناظرة، فليس كل أحد يناظر، ولا تكون المناظرة على كل حال.

وقول المراء والجدال أيضًا في الدين بدعة؛ لأن كثير من البدع خرجت عن طريق المراء والجدال، مثل هذا السائل الذي جاء للإمام مالك فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، كيف استوى؟ وأسئلة كثيرة طرحت: كيف كذا؟ لماذا كذا؟ ومن هذا الباب جاء الفلاسفة وجاء أهل الكلام فطرحوا أسئلة كثيرة. وكل هذا العلم -علم الكلام- هو عبارة عن أسئلة ومِراء وجدال، حتى صار من أسمائه وألقابه: "علم الجَدل"، ويسمى "علم الكلام"؛ لأنه كله كلام في كلام وجدل وهذا ليس من الدين، الدين نصوص وأوامر ونواهي وأخبار يُقابلها الإنسان بالإيمان والتسليم والانقياد والعمل والقبول.

وكذلك مع العلماء والمشايخ لا تُطرح أسئلة يكون فيها مِراء وجدال؛ اليهود سألوا أسئلة كثيرة في القرآن كلها تعنُّت وجدال ومن هذا القبيل؛ فلذلك أهل العلم دائمًا في كتب آداب طالب العلم يُبيّنون السؤال المحمود والسؤال المذموم؛ ليس كل سؤال يُسأل، وأيضًا طريقة السؤال لابد أن يكون فيها أدب وأن يُسأل عما يُفيد، «**مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ ترْكُهُ مالا يَعنيهِ**» الإنسان يسأل عن المفيد، الغير مفيد لا يسأل عنه.

هناك سؤال تكرر كثيرًا يسألني عنه بعض الناس: هل الأرض قبل آدم عاش فيها بشر أو عاشت فيها مخلوقات؟ ما الفائدة؟ عرفنا أو ما عرفنا ما الفائدة؟ سبحان الله أكثر أسئلة الناس في الأمور التي لا ينبني عليها عمل، يسألون عن الأشياء التي لا ينبني عليها، أما الشيء الذي ينبني عليه عمل لا يسألون عنه! ما تجد شخص يسألك مثلا عن الأذكار الذكر بعد الصلاة، قليل الذي يسأل عنه مع أنه هو نفسه لا يحفظه لأن هذا عمل، لكن يسألون عن أشياء لا ينبني عليها عملٌ في الحقيقة ويعني هذه القضية مهمة جدا ولذلك يؤكد عليها أهل العلم دائما في كتب الإعتقاد: (ترك المراء والجدال في الدين)

ولذلك حتى بين الشباب مشاكل تحذير من فلان والسؤال عن فلان، فلان قالوا فيه كذا وفلان حذّروا منه... هذا ترى من هذا القبيل مِراء وجِدال.

(ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله تعالى، ونترحم على عائشة ونترضى عنها.

والقول في اللفظ والملفوظ، وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والقول في الإيمان هل هو مخلوق أم غير مخلوق بدعة.

واعلم أني ذكرتُ إعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين مُجملاً من غير إستقصاء، إذ قد تقدم القوم من مشايخنا المعروفين من أهل الإمامة والديانة إلا أني أحببت أن أذكر "عقود أصحابنا المتصوفة" فيما أحدثه طائفة انتسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول ما نزَّه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك.

إلى أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه: "التَّبصير" كتب بذلك الى أهل طبرستان في إختلاف عندهم وسألوه أن يصف لهم ما يعتقده ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة.

ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة ولم يخُصَّ طائفة دون طائفة فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم ثم كان -م بعد ادعى نسبة ذلك إلى الطائفة- إلى ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم بمحله عند المخصلين؛ فكيف بابن أخته.

وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة، كذلك في الفقهاء والمُحدِّثين ليس من أحدث قولاً في الفقه، أو لبَّس فيها حديثًا يُنسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمُحدِّثين.

واعلم أن ألفاظ "الصوفية" وعلومهم تختلف، فيُطلقون ألفاظ لهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم، فمن لم يُداخلهم على التحقيق، ونازَل ما هم عليه، رجع عنهم خاسئًا وهو حسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثير ما يقولون: رأيت الله، وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدتَّه؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيتَه؟ فقال: لم تره العيون بتحديد الأعيان، ولكن رأته القلوب بِتحقيق الإيقان.

ثم قال: وأنَّه تعالى يُرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا قولنا وقول أئمتنا دون الجُهال من أهل الغباوة فينا.

وأن مما نعتقد أن الله حرَّم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع، فمن زعم أنه يبلغ مع الله درجة إلى درجة يُبيح الله له ما حرَّم على المؤمنين -إلا المضطر على حال يلزمه إحياء النفس- وإن بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادة فذلك كفر بالله والقائل بذلك قائل بالإباحة وهم المُنسلِخُون من الدِّيانة.

وأن مما نعتقده ترك إطلاق تسمية العشق على الله تعالى، ونبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال: أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.

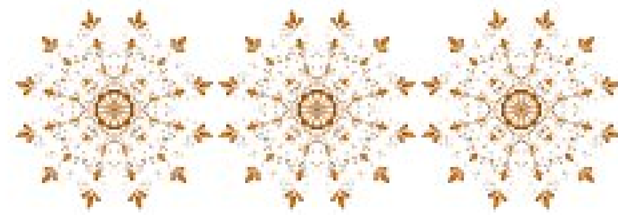
وأن مما نعتقده: أن الله لا يحِل في المرئيات، وأنه المُتفرِّد بكمال أسماءه وصفاته، بائن من خلقه، مستوٍ على عرشه، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيث ما تلي وحفظ ودرس.

ونعتقد: أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا محمدًا ﷺ خليلًا وحبيبًا، والخُلة لهما منه على خلاف ما قالت المعتزلة: أن الخُلة الفقر والحاجة.

إلى أن قال: والخلة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليهم الكيف، وأما صفات الله تعالى فمعلومةٌ في العلم، وموجودةٌ في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب وحسم الكيفية عن ذلك.

ومما نعتقده: أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغش والظلم...)

الكلام طويل فالمناسب نقف عند هذه المسألة إن شاء الله والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين جزاكم الله خير.



الـدَرسُ السابِع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نواصل القراءة في الفُتيا الحموية من تصنيف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، ووصلت بنا القراءة إلى كلام نقله عن ابن خفيف في تقرير العقيدة وإثبات الصفات.

وقد عَلِمنا أن الشيخ -رحمه الله- نقل نُقولًا كثيرةً عن علماء الإسلام؛ الأئمة الفقهاء والمحدثين وأتباع الأئمة الأربعة، أيضًا حتى ممن هو معروفٌ بالعبادة والتنسك والزهد وشيء من التصوف، نقل عنهم لغرضٍ ألا وهو أن جماهير الأمة على عقيدة إثبات الصفات.

وفي هذه النُقول بعض الكلمات وبعض الحروف التي هي محل استدراك والشيخ يستدركها عليه في مصنفات أخرى وفي مواضع أخرى؛ لكن هنا لم يرد الشيخ استدراكَ كل شيء وتعقُّبَ كل شيء، وإنما أراد المقصود ألا وهو أن جماهير الأمة على عقيدة الإثبات وأن من ذهب إلى مسلك التعطيل سواء من المؤوّلة أو من المفوضة إنما هم خالفوا طريق الجمهور وشَذوا وأتَوا بمنهج ومسلك شاذ عن عامة الأمة.

(ومما نعتقده: أن الله تعالى أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغش والظلم، وأن من قال بتحريم تلك المكاسب، فهو ضالٌ مضلٌ مبتدع، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، وإنما حرم الله ورسوله الفساد لا الكسب والتجارة، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة.

وإن مما نعتقده: أن الله لا يأمر بأكل الحلال، ثم يُعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالَبَهم به موجود إلى يوم القيامة، والمُعتقِد أن الأرض تخلو من الحلال والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع، لا أنه مفقود من الأرض.

ومما نعتقده: أنَّا إذا رأينا من ظاهِرُه جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عن ماله.

فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز.)

فقوله: (فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز)

ما صورة هذه المسألة؟ يعني: أن يسأل هذا الذي ظاهره الجمال أو ظاهره الغنى ونحو ذلك يسأله من أين اكتسبت هذا المال؟

قال: (جاز) في الحقيقة أن هذه المسألة أو هذا الجواز، جواز السؤال فيه نظر، وأهل العلم يُفَصَّلون في هذه المسألة ليس على سبيل الإطلاق؛ كل ما دعاك شخص إلى وليمة أو إلى طعام أو أهدى إليك شيء تسأله من أين اكتسبت هذا؟

- الأصل أن هذه أمور حلال مباحة، فقوله: (جاز) جواز السؤال هنا فيه نظر؛ لأن المال المختلطَ حلاله وحرامه لا بأس للإنسان يأكله إذا أُهدي إليه، فإن النبيّ ﷺ أكل طعام اليهود لـمَّا أُهدي إليه، وهم يأكلون السُّحت، يأكلون الرِّبا.
- أما إذا عُرِف الحرام بعينه؛ يعني: أُهدي إليك لحم شاة من الغنم، وأنت تعرف أن هذه الشاة بعينها مسروقة هنا يحرم عليك أن تأكل، فإذا عرفت المال الحرام بعينه فإن هذا لا يجوز أكله.

وذكر بعد ذلك الشيخ سؤال الصدِّيق غلامه؛ سؤال الصدِّيق غلامه فسؤاله من هذا الباب؛ لأنه قد تكون ظهرت له قرينة ونحو ذلك، والحديث في صحيح البخاري قد أورده المحقق في الهامش من حديث عائشة قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوم بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أُحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه».

هنا أبو بكر -رضي الله عنه- عرف أن هذا المال بعينه حرام؛ فلذلك قاءه، فهو من النوع الثاني ليس من النوع الأول.

وهذه المسألة تكلم عنها شيخ الإسلام في مواطن كثيرة في "مجموع الفتاوى" وأيضا في "اقتضاء الصراط المستقيم"، لما تكلم عن أكل طعام أهل الكتاب ونحو ذلك، ذكر كلام الفقهاء في هذه المسألة فهو باختصار على هذا التفصيل.

المال المختلط لا يسأل الإنسان عنه، أما المال الذي يعرف أنه بعينه حرام فإنه يحرم، لماذا المال الذي اختلط حلاله وحرامه وأهدي إليك حلال؟ لأن الطريق الذي وصل إليك ليس طريقًا حرام؛ لأنه هدية. ومثله الميراث، شخص أبوه كان يُرابي لكن هو وصل إليه المال عن طريق الإرث والإرث طريق شرعي؛ لا يقال أنه لا يجوز له أن يرث أباه.

(فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز، إلا من داخل الظَّلَمَةَ، ومن لا يَزَعُ عن الظلم، وأَخْذِ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك: فالسؤال والتَّوقِّي أولى؛ كما سأل الصِّدِّيق غلامه.

فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا، فلا يطلق عليه اسم الحرام ولا الحلال، إلا أنه مشتبه: فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصِّدِّيق.

وأجاز ابن مسعود وسلمان، وقالا: «كُلْ مَهْنَأَهُ وعليه التَّبِعَة».

والناس طبقات، والدينُ: الحنيفيةُ السمحة.

وإن مما نعتقد: أن العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه فلا يسقط عنه الخوف ولا الرجاء، وكل من ادَّعى الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه ﴿فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وقد أفردت كشف عوار كل من قال بذلك.

ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه.)

وهذا ردٌّ على الصوفية الذين يقولون تسقط التكاليف إذا وصل مرحلة معينة ونحو ذلك.

(مميزٌ على أحكام القوة والاستطاعة، إذ لم يُسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. ومن زعم أنه قد خرج من رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المبدئية بعلائق الآخرية.)

الأحدية؛ أي: تتحد ذاته بذات الإله، يقولون تتحد ذاته بذات الإله فتكون ذاتًا واحدةً، طبعًا هذا عند غلاة الصوفية.

(فهو كافرٌ لا محالة إلا من اعتراه علة أو آفة فصار معتوهًا أو مجنونًا أو مُبَرسمًا)

مُبَرسمًا؛ يعني: يهذي هذيان لخللٍ في رأسه، يقولون المبرسم هو الذي يهذي بهذيان لخلل في رأسه، وهذا كثير في الصوفية، أصلًا هم مجانين ويزعمون أن هؤلاء المجانين أولياء ونحو ذلك وفي الحقيقة عندهم أمراض إما نفسية أو عقلية.

(أو مبرسمًا وقد اختلط عقله أو لحقه غشية، ارتفع عنه أحكام العقل وذهب عن التمييز والمعرفة؛ فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة.

ومن زعم الإشراف على الخلق حتى يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحي المُنزَّل من قول الرسول ﷺ فهو خارج عن الملة.)

لا يكون هناك مرحلةٌ تُسقِط التكاليف، نبينا ﷺ وهو أشرف الخلق وخير هذه الأمة وخير الأنبياء والمرسلين، صلى إلى أن مات، ما سقطت عنه التكاليف، والصحابة -رضي الله عنهم- كذلك والأنبياء كذلك.

(ومن ادّعى أنه يعرف مآل الخلق ومُنقلبَهم، وأنهم على ماذا يموتون ويُختم لهم بغير الوحي من قول الله وقول رسوله ﷺ فقد باء بغضب من الله.)

لأن هذا ادعاء علم الغيب، ادّعاء علم الغيب من نواقض الإسلام.

(والفراسة حق على أصول ذكرناها، وليس ذلك مما رسمناه في شيء.

ومن زعم أن صفاته فانية بصفاته ويشير في ذلك إلى غير الأيدِ والعصمة والتوفيق والهداية -وأشار إلى صفاته ﷺ القديمة- فهو حُلُولِيٌّ قائل باللَّاهُوتِيَّةِ والالتحام، وذلك كفر لا محالة.)

وهذا مر معنا: القول بوحدة الوجود والحلول عند غلاة الصوفية.

(ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة.

ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى –النُّسْطُورِيَّة- في المسيح؛ وذلك كفر من الله العظيم.)

لأن هؤلاء النصارى جعلوا روح المسيح من روح الله عزّ وجلّ ليست مخلوقة؛ وإنما هي من روح الخالق، فالذي يزعم أن هناك روح ليست مخلوقة، هذا ضاهى قول النصارى الذين زعموا أن روح المسيح ليست روحًا مخلوقة، كل ما سوى الله عزّ وجلّ مخلوق.

(ومن قال: إن شيئًا من صفات الله حالٌّ في العبد وقال بالتبعيض على الله فقد كفر.

والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا حالٌّ في مخلوق، وأنه كيف ما تُلي وقُرئ وحُفظ فهو صفة لله، وليس الدرس من المدروس ولا التلاوة من المتلو؛ لأنه عز وجل بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر لا محالة.

ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة.)

هذه المسألة مرّت معنا كثيرًا -مسألة القرآن- وأن القرآن كما قال الإمام أحمد في السنة الخلَّال قال: (أن القرآن كلام الله وإن تصرفت جهاته) يعني: وإن كان مسموعًا أو متلوًّا أو محفوظًا في السطور أو مكتوبًا في الورق وفي المصاحف، فإنه كلام الله عز وجل.

الله عزوجل قال في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ يسمع كلام الله ممن؟ من الرسول ﷺ.

الآن الذي يتلو الرسول ﷺ، ولا يخرج عن كون هذا القرآن كلام الله، سواء تلاه جبريل أو تلاه رسولنا ﷺ أو تلوناه نحن، فهو كلام الله عزّ وجل.

(وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك..)

انتقل إلى مسألة هي من شعائر الصوفية ومن طقوس الصوفية، وهي القصائد الملحنة المبتدعة التي يسمونها التغبير، وهذه فيها فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية انتشرت في زمنه فسُئل عنها.

الشعر من حيث هو شعر لا حرج فيه إذا كان حسن فيقولون: (الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح)، ونبينا ﷺ استمع للشعر من كثير من الصحابة في مسجد النبي ﷺ، اقرأوا إن شئتم شمائل النبي ﷺ للترمذي.

لكن الصوفية تعبدوا الله بالقصائد والأناشيد جعلوها عبادة، بل منهم من يفضلها على القرآن وأنه تحصل عندهم رقة مع هذه الأناشيد والقصائد ما لا يحصل بالقرآن الكريم، هنا البدعة؛ يعني: تعبدوا الله بهذه القصائد والأناشيد، وذكروا حتى في الفُتيا التي سألوها لشيخ الإسلام إننا إذا تلونا هذه الأناشيد أثرت في الناس ونحو ذلك، ثم بعد ذلك أدخلوا فيها بعض المعازف والدفوف وتطور الأمر إلى أن أصبحوا لا يسمعون القرآن ولا يتلون القرآن إنما يسمعون هذه القصائد ويتلون هذه القصائد، وهكذا البدعة تبدأ صغيرة ثم تكون كالجبل، فالقصائد هنا صارت بدعة؛ لأنهم تعبدوا الله بها، ومعلوم أن العبادة مبناها على التوقيف حتى يدل دليل على كونها عبادة.

النبي ﷺ لما استمع للشعر وأنشد أمامه الصحابة الشعر وكان العرب الشعر عندهم كما قيل: الشعر ديوان العرب، فيه تاريخهم وفيه آدابهم وفيه أخلاقهم؛ لكن لم يتخذوه عبادة، النبي ﷺ ما اتخذه عبادة إنما تعبّد الله عزّ وجلّ بالقرآن. والشعر كما قيل: (حسنه حسن وقبيحه قبيح).

(فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين، فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به. وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر، واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر.)

الرباعيات: نوع من الأشعار التي ينشدها الصوفية.

(والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والنَّغام لهوٌ ولعب.)

التواجد: هم في طقوسهم وفي احتفالاتهم وموالدهم يحصل للإنسان تواجد يقولون وجد وتواجد؛ يعني: يحصل له شعورٌ معين، هم ربما تلبسهم الشياطين فيحصل له شعور معين فيقول: أنه حصل عنده هذا الأمر وهو: الوُجد والتَواجد.

وكل هذا من الباطل وكل هذا من تلبيس إبليس كما ذكره ابن الجوزي في كتاب "تلبيس إبليس" كيف لبَّس إبليس على هؤلاء الصوفية، بدأوا بقصائد وأناشيد وأدخلوا فيها بعض المعازف والدفوف ثم دخل فيها الرقص، ثم أصبحت فرق ومجموعات تعرف بأنهم يرقصون وينشدون، انظروا كيف لبَّس عليهم إبليس، كل هذا ليس من الإسلام في شيء وليس من الشريعة الإسلامية، وهذا الكلام مهم جدًّا من ابن خفيف؛ لأنه معدود من شيوخ الصوفية الأوائل فهو ينكر هذا الأمر.

(وحرام على كل من يسمع القصائد والرباعيات الملحنة الجاري بين أهل الأطباع على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك مما لا يليق به عز وجل، مما هو منزه عنه، فيكون استماعه كما قال: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ الآية.)

وهذا من الملاحظات على هذه القصائد؛ أنه يضاف فيها إلى الله عز وجل صفات لم يدل عليها الدليل، وهذا كثير في القصائد حتى اليوم يوجد عند هؤلاء الصوفية أنهم يصفون الله عز وجل بأوصاف لم تثبت في الكتاب والسنة ومعروف أن باب الصفات باب توقيفي.

(وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيلٍ فهو كفر لا محالة، وكل من جمع القول فأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز إلا لمن عرَّف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به عز وجل مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف؛ بل ترك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة.

إلى أن قال: واتخاذ المجالس على استماع الغناء والرباعيات بدعة، وذلك مما أنكره المُطَّلِبِيُّ.)

الإمام الشافعي هو الإمام المـُطَّلِبِيُّ.

(ومالك، والثوري، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يُعرَفُون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.)

هذه كلمة دائمًا نسمعها من العلماء: (خذوا العلم عن المعروفين) كيف نأخذ العلم عن المعروفين؟ ومن هم المعروفين؟

الآن سبحان الله في مشارق الأرض ومغاربها إذا جاء شهر رمضان تنتشر فتاوى من؟ وفي الحج وفي العمرة والزكاة؟ في العبادة؟ فتاوى من؟ العلماء المعروفين، ليس لهؤلاء الصوفية كلام ولا للسياسيين كلام ولا لأهل الباطل كلام، إذا جاءت شعائر الإسلام وأركان الإسلام تعرف من العلماء.

لذلك أذكر حادثة حصلت في سنة سبع وتسعين: احترقت مِنى -الخيام- أصبح كل الجنسيات على اختلاف مذاهبهم، سنة وغير سنة، -وهذا يحدثني من حج تلك السنة- كلهم يقولون: ماذا أفتى الشيخ بن باز؟ -الشيخ ابن باز كان حاج تلك السنة- هنا يتبين من العالم المعروف، فأفتى -رحمه الله- بسقوط وجوب المبيت بمِنى وأن الناس يكتفون برمي الجمار، هنا يتبين في مثل هذه المواطن في شعائر الإسلام في أركان الإسلام تعرف العلماء المعروفين من غير العلماء المعروفين.

العلماء المعروفين ليس في حسابات التواصل عندهم متابعين كثير أو في الإعلام لا؛ إذا جاءت شعائر الإسلام وجاءت الفتاوى التي يتعبد الله عز وجل بها تعرف العلماء. فلذلك هنا عدد العلماء -علماء أهل السنة- المتبوعين: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، مالك بن أنس، سفيان الثوري، يزيد بن هارون، أحمد بن حنبل، إسحاق...

هؤلاء هم الذين يقتدى بهم، هؤلاء هم الذين يُبيّنون للناس العقيدة والعبادة والشريعة، أما غيرهم قد يكون لهم أتباع -حتى في ذاك الزمن- لكن أتباع على الباطل ليس على العلم ولا يُعرفون في الدين.

يقول: (ولا لهم قدم عند المخلصين) الإمام أحمد، الله عز وجل أنقذ به الأمة في فتنة خلق القرآن، الإمام الشافعي حصل به خير عظيم في الفُتيا وفي الفِقه، الإمام مالك -رحمه الله- ألَّف "الموطأ"،

وانتشر على يديه خير عظيم في زمنه، وكان لا يُعدُّ كتاب مثل الموطأ في زمن الإمام مالك -رحمه الله- وما بعده. فهؤلاء الأئمة وأيضًا سفيان الثوري ويزيد ابن هارون واسحاق بن راهويه، وغيرهم من العلماء لهم سيرة حميدة، فهذه الكلمة دائمًا تمُر معنا تأمَّلوها: "العلماء المعروفين".

بعض الناس يظن العلماء المعروفين الذين يظهرون في وسائل الإعلام وصورهم معروفة، لا؛ يعني: معروفين ببيان الشريعة.

(وبلغني أنا أنه قيل لِبِشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئا يقال له القصائد، فقال: مثل إيش؟ قال مثل قوله:

اصبـري يا نفـس حتَّـى تسكُـني دار الجَـليـلِ

فقال: حَسَن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد، فقال: كذبوا؛ والذي لا إله غيره لا يسكن ببغداد من سمِع هذا.

قال الإمام أبو عبد الله: ومما نقول -وهو قولُ أئمَّتنا-: إن الفقير إذا احتاج وصدق ولم يتكفَّف إلى وقت يفتح الله تعالى له كان أعلى، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به، على قوله ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبله**» الحديث.

ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة، من التَّعفف والاستغناء عما في أيدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة وهو صحيح فذلك مذموم، ومن الحقيقة خارج.)

وهذا كله إنكار على الصوفية، الذين يجلسون يسألون الناس يزعمون أنهم زُهَّاد وعُبَّاد لا يعملون، فهذا باطل، ليس من الشريعة ترك العمل وترك البيع والشِّراء والمَكاسب أبدًا.

(ونقول: إن المُستمع إلى الغناء والملاهي فإن ذلك كما قال عليه السلام: «**الغناء يُنبِت النِّفاق في القلب**»)

النفاق كما هو معلوم والفسق والكفر على نوعين: أكبر وأصغر، وهنا يُنبِت **النِّفاق الأصغر العملي** الذي لا يُخرِج من الملة؛ لكن قد يتفاقم مع الإنسان حتى -والعياذ بالله- يكون منافقًا فيخرج من المِلَّة، لكن لا نأخذ من هذا الحديث أن من سمع الغناء أو من كان يغني أنه كافر أو منافق أو خارج من الملة، لا؛ لكنه يُنبت النفاق في القلب؛ يعني: النفاق العملي الذي لا يُخرج من الملة لكنه منكر عظيم.

(«**الغناء يُنبِت النِّفاق في القلب**» وإن لم يكن كفر فهو فسق لا محالة.

والذي نختار: قول أئمتنا: ترك المراء في الدين، والكلام في الإيمان: مخلوقٌ أو غير مخلوق.

وترك القول: لفظي بالقرآن مخلوقٌ أو غير مخلوق.)

لأن هذه كلها شبهات الجهمية، هل القرآن مخلوقٌ أو غير مخلوق؟ هل الإيمان مخلوقٌ أو غير مخلوق؟ هل لفظي بالقرآن مخلوقٌ أو غير مخلوق؟ كلها من شبهات الجهمية فتركها يقول: هو قول أئمتنا.

(ومن زعم أن الرسول ﷺ واسطةٌ يؤدي، وأن المرسل إليهم أفضل، فهو كافر بالله العظيم.

ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فهو كافر.)

إلى هنا انتهى كلام ابن خفيف، ننتقل إلى كلام عبد القادر الجيلي أو الجيلاني، وهو من علماء الحنابلة الذين تنتسب إليهم بعض الطرق الصوفية لكنه هو منهم بريء.

(ومن متأخريهم: الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، قال في كتاب "الغنية":

(أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحدٌ أحد ـ إلى أن قال: وهو بجهة العلو، مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك، محيطٌ علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾. ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان؛ بل يقال: إنه في السماء على العرش، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾) ...)

إذن عبد القادر الجيلي -رحمه الله- على عقيدة السلف في إثبات العلو والاستواء، وإنكار هذه المقالة أن الله في كل مكان.

(وذكر آياتٍ وأحاديث إلى أن قال: (وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش. قال: وكونه على العرش مذكورٌ في كل كتابٍ أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف.) وذكر كلامًا طويلًا لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا.

ولو ذكرت ما قال العلماء في ذلك لطال جدًّا.

وقال أبو عمر بن عبد البر: (رُوِّينَا عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومَعْمَرِ بن راشدٍ في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمِرُّوها كما جاءت).

قال أبو عمر: (ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثِّقات، وجاء عن الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يُدَانُ به؛ وما أُحْدِثَ بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم، فهو بدعة وضلالة).

وقال في "شرح الموطأ": -لما تكلم على حديث النزول- قال: (هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العُدُولِ عن النبي ﷺ، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات...))

هنا ابن عبد البر -رحمه الله- استدل بحديث النزول على علو الله عز وجل، وتقدم معنا -ذكرنا لكم- أن الإمام الدارمي -رحمه الله- في رده على بشر المريسي قال: (حديث النزول أغيظ حديث على الجهمية) لأنه أثبت النزول وأثبت العلو؛ لأن النزول من أين يكون؟

النزول: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**» مفهوم الحديث أن الله عز وجل في العلو وينزل في الثلث الأخير من الليل، وأيضًا مع إثبات هذا الحديث للعلو والنزول، فيه دليل على صفة الكلام، وهذه لا تثبتها الجهمية لأنه يقول: «**هل من سائل فأعطيه؟**» فهذا الحديث أغيظ حديث على الجهمية، وهو حديث متواتر بلا شك.

وصفة النزول ثابتة في السنة في مواطن كثيرة: سواء في الثلث الأخير من الليل، أو عشية عرفة، أو ليلة النصف من شعبان.

(وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان))

لو أن الله في كل مكان ما احتاج إلى أن يقول: «**ينزل في الثلث الأخير**» صح؟ ما احتاج.

(قال: والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله تعالى -وذكر بعض الآيات-، إلى أن قال: (وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يُحتَاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يُوقِفْهُم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم).

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضًا: (أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِلَ عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ هو على العرش وعلمه في كل مكان..)

هذا الإجماع مهم جدًّا جدًّا، هذا الإجماع الذي نقله ابن عبد البر مهم جدًّا ودائمًا ينقله ويحكيه العلماء.

ابن عبد البر -رحمه الله- هنا ينقل إجماع السلف على تفسير صفة المعية؛ أن المعية هي معية الله عز وجل بعلمه هو فوق العرش ومعهم بعلمه، هو في كل مكان بعلمه أما هو وذاته جل وعلا فهو فوق العرش سبحانه وتعالى.

(وما خالفهم في ذلك مَنْ يُحْتَجُّ بقوله.

وقال أبو عمر أيضًا: (أهل السنة مُجْمِعُون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفةً محصورةً.

وأما أهل البدع: الجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج؛ فكلهم ينكرها، ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، ويزعم أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة، وهذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب))

هو إمام من أئمة المالكية، إذا جاءنا مالكي نستدل عليه بكلام ابن عبد البر -رحمه الله-.

(وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي)

البيهقي إمام من أئمة الشافعية، فكلامه يستدل به على الشافعية.

(وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي -مع توليه المتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم- قال في كتاب "الأسماء والصفات": (بابُ ما جاء في إثبات اليدين صفتين -لا من حيث الجارحة- لِوُرُودِ خبر الصادق به).)

البيهقي انتصر لأبي الحسن الاشعري وأتباع أبي الحسن الأشعري، ومع ذلك أثبت صفة اليدين، فهذه حجة، عليهم أن يتبعوا هذا الكلام؛ لأنه قعَّد قاعدة مهمة؛ قال: (لوُرُود الخبر الصادق به)، إذن إذا صح الحديث فيجب اتباع الحديث، ولا يقال: أن هذه اليد يدٌ جارحة ونحو ذلك، الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

وذكر الأحاديث الصِّحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث؛ في حديث الشفاعة: **«يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده»**

ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: «**أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك الألواح بيده» وفي لفظ: «وكتب لك التوراة بيده»**

ومثل ما في صحيح مسلم: «**وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده»**

ومثل قوله ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبزةً واحدةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجبار بيده كما يَتَكَفَّأُ أحدكم خبزته في السفر، نُزُلًا لأهل الجنة»)**

المقصود أن اليد لله عز وجل أضيفت لها أوصاف كثيرة وأفعال كثيرة؛ فتُـثبَت لله على ما يليق بكماله سبحانه وتعالى.

(وذكر أحاديث مثل قوله: «**بيدي الأمر**»، «**والخير بيديك**»، «**والذي نفس محمد بيده**»، و«**أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**».

وقوله: «**المقسطون عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين**»، وقوله: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

وقوله: «**يمين الله ملأى، لا يَغِيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع**».

وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

وذكر أيضًا قوله: «إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان: اخْتَر أيهما شئت، قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يديّ ربي يمين مباركة».

وحديث: «**إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره بيده**».

إلى أحاديث أُخَرَ ذكرها من هذا النوع.

ثم قال البيهقي: (أما المُتقدِّمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب).)

يعني: لم يفسروها تفسير الجهمية.

(وكذلك قال في الاستواء على العرش، وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل": (لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات لله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما رُوي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة).

وذكر بعض كلام: الزُّهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحمَّاد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكِيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وأسود بن سالم، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جريرٍ الطبري، وغيرهم في هذا الباب.

وفي حكاية ألفاظهم طول.

إلى أن قال: (ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسبق؛ لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة).)

وهذا دلّ على أن التأويل بدعة؛ لأنه لم يأتِ عن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-.

(وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام، في كتابه الذي صنفه في "اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين"، ذكر قول: الروافض، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، وغيرهم.

ثم قال: (مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملةً: قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله، وما رواه الثِّقات عن رسول الله ﷺ لا يرُدُّون بالله شيئًا.

وأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا.

وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.)

من هنا يبدأ الشاهد من كلام أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- الذي تنتسب إليه الأشعرية، انظروا لإثباته للصفات.

(قال: وأن الله على عرشه، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

وأن له يدين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾

وأن له عينين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.

وأن له وجهًا، كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

وأن أسماء الله تعالى لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

وأقَرُّوا أن لله علمًا، كما قال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

وأثبتوا له السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة.

وأثبتوا لله القوة، كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

وذكر مذهبهم في القدر إلى أن قال: (ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال باللفظ والوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق))

اللفظ والوقف: هذه من مسائل القضية الكبرى التي هي مسألة القرآن، وهل القرآن كلام الله أو ليس بكلام الله، الذي يعتقده السلف -كما عرفنا دائمًا- أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ لكن الجهمية منهم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ومنهم من توقف.

قال: لا أقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، وهذه المقالات كلها باطلة سواء مسألة اللفظ أو مقالة اللفظ أو مقالة الوقف؛ لأن الذي يتوقف هذا لم يثبت الصفة لله عز وجل.

(ويقرُّون أن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة، كما يُرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، كما قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾

وذكر قولهم في: الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء ...

إلى أن قال: (ويُقِرُّون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق. ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار).

إلى أن قال: (وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في الدين والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم. ويُسلِّمون للروايات الصحيحة، ولِما جاءت بها الآثار التي جاءت بها الثِّقات عدلًا عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، لا يقولون: كيف؟ ولا لم؟ لأن ذلك بدعة).

إلى أن قال: (ويُقِرُّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وأن الله يُقرِّب من خلقه كيف يشاء. كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾)

إلى أن قال: (ويَرَوْنَ مجانبة كلِّ داعٍ إلى بدعةٍ، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق مع بذل المعروف، وكف الأذى...)

هذه مسألة المعِيّة؛ القرب والمعية بمعنى واحد، قال جل وعلا: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، فهو قريب بعلمه وإحاطته وسمعه وبصره، لا يخفى عليه شيء جل وعلا، هذا المعنى، وهو فوق عرشه.

السِّعاية: النميمة، هي بمعنى النميمة.

(وترك الغيبة والنميمة والسِّعاية، وتفقُّد المأكل والمشرب.

قال: (فهذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه، ويرونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان).

وقال الأشعري أيضًا في "اختلاف أهل القبلة في العرش":

فقال: (قال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسمٍ ولا يُشبِهُ الأشياء، وأنه استوى على العرش كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. ولا نتقدم بين يدي الله في القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف.

وأن له وجهًا كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. وأن له يدين كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

وأن له عينين كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.

وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث.

ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ.

وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى: استولى) وذكر مقالات أخرى.

وقال أيضًا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه: "الإبانة في أصول الديانة" وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذبِّ عنه عند من يطعن عليه...)

من المعلوم أن أبو الحسن أشعري -رحمه الله- كان معتزلي، مكث أربعين سنة في الاعتزال ثم انتقل إلى مذهب ابن كُلَّاب، ثم في الطور الثالث من حياته صرَّحَ برجوعه إلى مذهب السلف وبالانتساب لمذهب الإمام أحمد رحمه الله.

والأشاعرة هم في الحقيقة ينتسبون إلى الطور الذي كان هو عليه على مذهب ابن كُلَّاب.

وهذا الكتاب: "الإبانة في أصول الديانة" مطبوع موجود وقد صرَّح فيه، وينقل الشيخ -رحمه الله- عنه هذا الكلام الذي صرَّح به في اتباعه للسلف والإمام أحمد رحمه الله تعالى، لكن كتاب: "مقالات الإسلاميين" الذي نقل عنه قبل ذلك هذا يعد موسوعة في علم الفِرق، "مقالات الإسلاميين" تكلم عن جميع الفِرق، هو مفيد جدًّا لمن أراد البحث في المعتزلة وفرق المعتزلة وشبهات المعتزلة؛ لأن أبو الحسن الأشعري كان من أئمة المعتزلة، وكان أربعين سنة في الاعتزال؛ فكلامه عن المعتزلة كلام قد لا يجده الإنسان عند غيره. ويُعدُّ هذا الكتاب: "مقالات الإسلاميين" من أقدم الكتب حتى فيه مقالات اندثرت؛ يعني: المرجئة حكى عنهم اثْنَتَا عشرة فرقة أكثرها اندثرت هذه الفِرق.

((فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة).

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة؛ فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون.)

ولماذا خصَّ الإمام أحمد؟ لأن الإمام أحمد هو الذي انبرى في وجه المعتزلة والجهمية فأصبح شعارًا لأهل السنة، وأصبح من يطعن في الإمام أحمد يُعدُّ من الجهمية، وإلا الإمام أحمد لا يختلف عن الإمام مالك ولا الإمام الشافعي؛ لكن لأنه أصبح رمزًا وشعارًا لأهل السنة -رحمهم الله-.

(ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلالة، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكِّين، فرحمة الله عليه من إمامٍ مقدَّم وجليل معظَّم وكبيرٍ مفهَّم.

وجملة قولنا: أنَّا نُقرُّ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما رواه الثِّقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا.

وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق.

وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

وأن له وجهًا، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

وأن له يدين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وكما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.

وأن مَنْ زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًّا...).

وذكر نحوًا مما ذكر في الفِرَق، إلى أن قال: (ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كلُّ إسلامٍ إيمانًا، ونُدين بأن الله يقلب القلوب بين أُصبعين من أصابع الله عز وجل، وأنه عز وجل يضع السماوات على أُصبع والأرضين على أُصبع، كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ).

إلى أن قال: (وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. ونُسلِّم للروايات الصحيحة التي رواها الثِّقات عدلًا عن عدلٍ حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ).

إلى أن قال: (ونصدِّق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: «**هل من سائل؟ هل من مستغفر؟**» وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافًا لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه.

ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول: إن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

وأن الله يَقْرُبُ من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

إلى أن قال: (وسنَحتجُّ لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابًا بابًا).

ثم تكلم على أن الله يُرَى واستدل على ذلك.

ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك.

ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق، ولا غير مخلوق ورد عليه.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

ثم قال: (باب ذكر الاستواء على العرش)

فقال: (إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقد قال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾.

وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾، كذَّب موسى في قوله: إن الله فوق السماوات.

وقال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾، فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ﴾؛ لأنه مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات.

وليس إذا قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ﴾؛ يعني: جميع السماوات؛ وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، فلم يرد أن القمر يملَؤُهُنَّ، وأنه فيهن جميعًا.

ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دَعَوْا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يَحُطُّونَهَا إذا دَعَوْا إلى الأرض).)

يحطُّون؛ يعني: يضعونها في الأسفل، ما في واحد إذا دعا يتوجه بيديه إلى الأسفل، يتوجه بيديه إلى العلو؛ لا يتوجه بيديه إلى الأرض. وهذه فطرة؛ والفطرة دليل من أدلة العلو.

(ثم قال: (فصلٌ: وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

فلو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء.

والأرضُ فالله قادر عليها وعلى الحُشُوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء -وهو عز وجل مستولٍ على الأشياء كلها- لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش والأقذار.)

لا يكون للعرش خصوصية؛ يعني: كأن هذه الآيات التي جاءت في استواء الله على العرش ليس لها خصوصية بل يلزم منها لازم فاسد وباطل؛ لبطلان قولهم: أن الله في كل مكان حتى في الحشوش، -تعالى الله عما يقولون- ويلزم منها أن الله مستولٍ على كل شيء.

إذا قلنا: استوى بمعنى استولى؛ إذن هذه الآيات التي جاء فيها استواء الله على العرش تكون عبثًا لا فائدة منها، ليس فيها فائدة زائدة؛ لأن الله مستولٍ على العرش، مستولٍ على السماوات، مستولٍ على

الأرض، مستولٍ على كل مخلوق. وهذا باطل بل معناه: استوى؛ أي: علا وصعد جل وعلا، وأنه فوق العرش عز وجل، وهذا خاصٌّ بالعرش، والعرش فوق المخلوقات.

(لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها لم يَجُزْ عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأَخْلِيَة.)

الحُش والخلاء: هو مكان قضاء الحاجة، لا يقول أحد أن الله مستوٍ عليها، تعالى الله عما يقولون.

(لم يَجُزْ أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها).)

هذا ردٌّ من الإمام الأشعري -رحمه الله- على الأشعرية، الماتريدية، ومن سلك سبيلهم.

فتفسير الاستواء بالاستيلاء باطلٌ باتفاق الأئمة.

(وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل ثم قال: (باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين) وذكر الآيات في ذلك، ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته:

مثل قوله: (فإن سُئلنا: أتقولون إن لله يدان؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته**».

وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ: «**إن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده**».

وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخِطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيديَّ ويعني بها النعمة.

وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهومًا من كلامها، ومعقولًا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل: فعلت بيديَّ ويعني به النعمة، بَطَلَ أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَىَّ﴾ النعمة). وذكر كلامًا طويلًا في تقرير هذا ونحوه.)

لأن التثنية هنا مقصودة؛ الله عز وجل قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، فتفسيرها بالنعمة يعني أن الله عز وجل ليس له إلا نعمتين؟! هذا المعنى باطل. فتفسير اليدين بالنعمة باطل ولم يأتِ في لغة العرب.

دائمًا تذكروا سورة ص، هذه الآية في سورة ص: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، هؤلاء المؤوِّلة ما استطاعوا أن يؤولوها في الحقيقة؛ لأنها صريحة جدًّا، تثنية اليدين وإضافة الخلق إليهما صريح جدًّا في إثبات صفة اليدين على الحقيقة لله تبارك وتعالى.

ثم نقل كلام الباقلاني -وهو أيضًا من تلاميذ الأشعري- وبهذا نعرف أنه: حتى الأشاعرة الأوائل كان عندهم إثبات للصفات، ليسوا كالأشاعرة المتأخرين الذين توسعوا في علم الكلام وتوسعوا في التعطيل.

(وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقِلَّانيُّ المتكلم -وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده- قال في كتاب "الإبانة" الذي تصنيفه: (فإن قال: فما الدليل على أن لله وجهًا ويدًا؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا.

فإن قال قائل: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحةً إذ كنتم لا تعقلون يدًا ووجهًا إلا جارحة؟ قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيًّا عالمًا قادرًا إلا جسمًا أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى، وكما لا يجب في كل شيء كان قائمًا بذاته أن يكون جوهرًا؛ لأنا وإياكم لا نجد قائمًا بنفسه في شاهدنا إلا كذلك. وكذلك الجواب لهم، إن قالوا: فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته ذاته عرضًا واعْتَلُّوا بالوجود.)

قال: (فإن قال: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل له: معاذ الله؛ بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾. وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. وقال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾.)

قال: (ولو كان في كل مكان: لكان في بطن الإنسان وفمه، وفي الحشوش، وفي المواضع التي يُرْغَبُ عن ذكرها. ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان. ولو صح أن يُرْغَبَ إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا وشمالنا...)

ما في أحد إذا دعا يتجه إلى اليمين أو إلى الشمال أو نحو الأرض إلى الأسفل؛ إنما يتجه إلى السماء.

(وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.)

وقال أيضًا في هذا الكتاب: (صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها، وهي: الحياة، والعلم والقدرة، والسمع والبصر، والكلام، والإرادة والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا).

وقال في كتاب "التمهيد" كلامًا أكثر من هذا؛ لكن النسخة ليست حاضرة عندي.

وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن تَطَلَّبَهُ، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

وملاك الأمر: أن يهب الله تعالى للعبد حكمةً وإيمانًا بحيث يكون له عقل ودين، حتى يفهم ويَدِين. ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثير من الناس قد صار منتسبًا إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسنًا الظن بهم دون غيرهم، ومتوهمًا أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أُتِيَ بكل آية ما تبعها حتى يُؤتَى بشيء من كلامهم.

ثم هم مع هذا مخالفين لأسلافهم غير متبعين لهم...)

أي: هذا كلام أسلافهم أبو الحسن الأشعري والباقلاني، لماذا لا يتَّبِعونهم؟!

(ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرُجِيَ لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدًى.

ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة، ثم لا يستمسك بما جاءت به من الحق: ففيه شبه من اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أُنزل علينا. قال الله لهم: فلم قتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم صادقين مؤمنين بما أنزل عليكم.

يقول الله سبحانه: لا بما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون؛ ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يتبع الحق، لا من طائفته ولا من غيرهم، مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله تعالى ولا بيان.)

إلى هنا انتهى كلام الباقلاني، نقف عنده إن شاء الله، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الـدَرسُ الثامِن

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نواصل القراءة في الفُتيا الحموية وبداية قراءتنا في هذا المجلس من النقل الذي نقله شيخ الإسلام عن أبي المعالي الجُويني.

(وكذلك قال أبو المعالي الجُوَيْنِيُّ في كتابه: "الرسالة النظامية": (اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر:

فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آيِ الكتاب، وما يَصِح من السنن.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب.

قال: والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا: اتِّباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجةٌ مُتَّبعَة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودَرْكِ ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها.

فلو كان تأويل هذه الظواهر مُسوَّغًا أو محتومًا لأوشَكَ أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع.

فحقٌّ على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المُحْدَثِين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويَكِلْ معناها إلى الرب؛ فليُجْرِ آيات الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ وما صح من أخبار الرسول ﷺ كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا)

الشاهد من كلام الجويني هو أن منهج الصحابة هو إثبات الصفات؛ لذلك قال: (وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها)؛ يعني: لم يخوضوا كخوض الجهمية، ثم استدل على ذلك فقال: (فليُجْرِ آيات الاستواء والمجيء وقوله:) إلى آخره.

(قلت: وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذِكر بعض ألفاظ الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب.)

هذا المقصود ابن تيمية، هذه النُّقول التي تقدمت هذا مقصودها: أن مذاهب الأئمة هو اثبات الصفات، خلافًا للمؤولين والمفوضين.

(وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما نقوله في هذا وغيره؛ ولكن الحق يُقبَل من كل من تكلم به.

كان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود في سننه: (اقبَلوا الحق من كل مَنْ جاء به، وإن كان كافرًا -أو قال فاجرًا- واحذروا زَيْغَةَ الحكيم).

قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟

قال: (إن على الحق نورًا) أو قال كلامًا هذا معناه.

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشُّبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد في هذه الـمَهَامَة.)

الـمَهَامَة، طبعًا أصل الـمَهَامَة تطلق **الـمَهَامة** على المفازة والبرية، يقال: الصحراء؛ لأن كثير من الناس يهيم فيها فيظل، وهنا شبه هذه المسائل بالـمَهَامِهِ؛ لأن بعض الناس خصوصًا المتكلمين هاموا وضلوا عن الطريق الصحيح.

(ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامِهِ فما تتسع له هذه الفُتيا، وقد كتبت شيئًا من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب -إن شاء الله- في ذلك ما يحصل المقصود به.

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وقصد اتباع الحق.)

انظر تدبر الكتاب السنة وعنده قصد حسن ألا وهو: قصدٌ اتباع الحق؛ لكن ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ الذي عنده قصد حسن ينتفع بتلاوة القرآن وبتدبر القرآن، أما الذي عنده قصدٌ سيِّء فإنه يلتمس المتشابه، إرادةً للفتنة، لا إرادةً لاتباع الحق.

(وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وقوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه، فلا يبصقن قِبل وجهه**» ونحو ذلك، فإن هذا غلط.)

عندنا قاعدة أن الوحي لا يتعارض؛ لأن مصدره واحد فالكتاب والسُّنة مصدرهما واحد كلاهما وحي من الله عز وجل فلا يتناقضا ولا يتعارضا، فعلوُّ الله عز وجل لا يُعارض نزوله ولا يُناقض معيَّته ولا دنُوَّه من خلقه سبحانه وتعالى.

والآن سيتكلم الشيخ ويفصِّل في هذه المسألة وهي أنه لا مُنافاة بين علوِّ الله عز وجل ومعيِّته لخلقه.

(وذلك أن الله تعالى معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿هو الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾)

فهو معنا بعلمه وبصره وسمعه وإحاطته، وذاته فوق العرش جلَّ وعلا، لا مُنافاة بين المعنيين.

(فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**».

وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أُطلقت فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال، فإذا قُيّدت بمعنًى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا.)

وأين النجم والقمر، وأين نحن؟ بعيد جدًّا، فالمَعيَّة لا تقتضي المُخالطة والمقارنة والمماسَّة.

(ويقال: هذا المتاع معي لمجامعتِه لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ دلَّ ظاهر الخِطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم ومُهيمنٌ عالِمٌ بِكم.

وهذا معنى قول السلف: (إنه معهم بِعلمه) وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

ولمَّا قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، كان هذا أيضا حقا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا -مع الاطلاع- النَّصر والتأكيد.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وكذلك قوله لموسى وهارون ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذا الموطن: النصر والتأييد.)

المعيَّة على نوعين: معية عامة، ومعية خاصة:

- **المعيَّة العامة:** معيَّة الله عز وجل لجميع خلقِه بعِلمه، فلا يخفى عن الله عز وجل منهم شيء.
- **والمعية الخاصة:** هي لأوليائه وهي معية بمعنى: التأييد والنصر.

(وقد يدخُل على صبيٍّ من يخيفه فيبكي، فيشرف عليه، يقوم من فوق السقف، ويقول: (لا تخف أنا معك) أو (أنا ها هنا)، أو (أنا حاضر)، ونحو ذلك، ينبهه على المعية الموجِبة بِحُكم الحال دفع المكروه، ففرقٌ بين معنى المعية وبين ومُقتضاها، ولربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع، فلفظ المعية قد استُعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضعٍ أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها - وإن امتاز كل موضعٍ بخاصية - فعلى التقديرين: ليس مقتضاها أن

تكون ذات الرب مختلطةً بالخلق، حتى يقال: قد صُرِفت عن ظاهرها، ونظيرها من بعض الوجوه: الربوبية والعبودية.)

الربوبية، كما أننا عرفنا أن المعية معية عامة وخاصة، كذلك الربوبية ربوبية عامة وخاصة، والعبودية عبودية عامة وخاصة.

(فإنها وإن اشتركت في أصل الربوبية والتعبيد، فلما قال: ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾)

﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: هنا ربوبية عامة، ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ خاصة.

(كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره: فقد ربه ورباه، وربوبيته وتربيته أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ و ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾)

هذه عبودية خاصة؛ عبودية المؤمنين، أولياء الله، بخلاف قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، هنا عبودية عامة؛ كل شيء ذليل لله، وعبد لله.

(وتارة يعنى به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علمًا وحالاً، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.)

(ومثل هذه الألفاظ...)

انتبهوا الآن سيذكر الفاظ مُشكَّكة أو يقولون مُشكِّكة، وألفاظ متواطَئة وألفاظ مشتَركة، نقرؤها ونبيِّنها إن شاء الله، والمحقق قد علَّق تعليقا مفيد جدا، لكن الشيخ يريد أن يبين قضية مهمة في هذه الألفاظ.

(ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس (مشككة) لتشكيك المستمع فيها، هل هي من قبل الأسماء المتواطئة، أو من قبل المشتركة في اللفظ فقط...)

انتبهوا معي، الآن عندنا ثلاث ألفاظ:

- ألفاظ مشتَركة.
- ألفاظ متَواطئة.
- ألفاظ مشكِّكة.

عندنا اشتراك، وعندنا تواطُؤ، وعندنا مشكك أو تشكيك أو نحو ذلك...

- **الاشتراك:** هو لفظٌ واحد، قد فسره المحقق تفسيرًا جميلاً، لكن نريد أن نفهم، الآن (الاشتراك): لفظٌ يدل على أكثر من معنى، هذه المعاني مختلفة مثل (عين): عين الإنسان الباصرة التي يبصر بها، تسمى عين، وعين الماء تسمّى عين، والجاسوس يسمى عين أيضًا، والإنسان نفسه ذاته يقال: جاء زيدٌ عينُه، يعني نفسُه. هذه معاني غير متفِقة صح؟ هل عين الإنسان مثل عين الماء؟ أبدًا.

فهنا اشتراكٌ في اللفظ أما المعنى لا اشتراك فيه، هذا الاشتراك.

- أما **المتواطِئ**: فهي ألفاظٌ ومعاني وُضعت لأشياء كثيرة تدل على معنى واحد يعمُّها جميعها من جهة اللفظ والمعنى، هذا المتواطئ. لكن حين التقييد والإضافة تتميز وتختص، يختص كل ما أضيفت إليه بمعناه الخاص.

الآن الاشتراك في اللفظ دون المعنى، أما المتواطئ: فهي ألفاظ ومعاني وضعت لمعنى عامّ في الجميع لكن يزول هذا العموم وهذا التَواطُؤ حين التخصيص وحين التقييد.

أضرب لكم مثل: الآن إذا قلت لكم يد، الآن لفظ يد يدل على معنى، اليد: معروفة أنها هي التي تقبض وتبسط وتعطي وتمنع، هذا معنى يدخل في معنى كلِّ يد، لكن حين التخصيص إذا قلنا يد إنسان تختلف عن يد الحيوان، صح؟ تختلف عن يد الخالق سبحانه وتعالى، واضح؟

فأسماء الله عز وجل وصفاته ليست من قَبيل الاشتراك وإنما من قَبيل المتواطئ.

ومن هنا يتكلم أهل العلم عن مسألة القَدر المشترك؛ **القدر المشترك** هو: المعنى الموجود في الذهن قبل تخصيص وإضافة هذه الألفاظ، لكن حينما نضيفها يختص الخالق فيما أُضيف إليه ويختص المخلوق بما أُضيف إليه: وكل مخلوق له يد؛ الباب له يد خاصة به، الرجل له يد خاصة به، والحيوان له يد خاصة به.

- **الألفاظ المُشَكِكَة:** هي المُشَكِكَة الذي يشك فيها الإنسان هل هي من قبيل مُتواطئ أو من قَبيل الاشتراك.

لكن المسألة مهمة وهذه ذكرها هنا الشيخ وذكر في "التَدْمُرِيَّة" وذكر في غيرها، ولما أُعتُرِض عليه في "الحموية" تكلم في مُعارضة الحموية أيضًا عن هذه الألفاظ، ودائمًا الشيخ وغيره من أهل العلم يبينون أن أسماء الله وصفاته من قَبيل ماذا؟ الألفاظ المتواطئة، والله عز وجل قال من أسمائه (الرؤوف الرحيم) وقال عن النبي ﷺ (رؤوفٌ رحيم)؛ فاسم (الرؤوف) واسم (الرحيم) وصفة (الرأفة) وصفة (الرحمة) قبل التقييد وقبل الاختصاص فيها معنى، لكن حينما أُضيفت إلى الخالق اختصت بما يليق بكمال الخالق وحينما أُضيفت للمخلوق اختصت بما هو خاصٌ بالمخلوق.

لذلك المتواطئ قالوا: هو الاسم الواحد الذي يقال من أول ما وُضع له على أشياءٍ كثيرة ويدل على معنى واحد يعمُّها؛ هذا الذي يقولون أنه قدرٌ مشترك.

الآن **الوجود**: الخالق موجود والمخلوق موجود، معنى الوجود هذا فيه قدرٌ مشترك لكن وجود الخالق غير عن وجود المخلوق؛ الخالِق هو الأول والآخر ليس قبله شيء وليس بعده شيء، والمخلوق يلحقه فَناء وله بداية.

واضحة المسألة إن شاء الله؟ فالأسماء والصفات هي من قَبيل المتواطِئ، لكن يقول هذه الألفاظ يُسميها بعض الناس مُشَكِكَة وهذه طريقة بعض المتكلمين أنه يقول لا؛ الأسماء والصفات من قَبيل الاشتراك اللفظي ثم بعد تقرير هذا يلجأ إلى تأويل الصفات وتأويل الأسماء؛ يعني يسلك مسالك المعطلة.

(والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات؛ كإضافة الربوبية مثلًا، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقةً ولا مجازًا، علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ثم من توهم أن كون الله في السماء؛ بمعنى: أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحدًا يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحدًا نقله عن أحد من العلماء المعروفين وأتباعهم، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله تعالى ورسوله ﷺ: «**إن الله في السماء**» أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالًا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد، إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله عز وجل، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقًا يحصره أو يحويه؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾، وقال تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِى الْأَرْضِ﴾ بمعنى: على الأرض ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقةً لا مجازًا، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

وكذلك قوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه**» الحديث حقٌّ على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضًا قبل وجهه.)

أحيانًا الإنسان يجلس في الشمس فيقولون له: الشمس أمامك اجلس في الظل، لا تقعد قدام الشمس أو لا تخلي الشمس قدامك، أين الشمس؟ وأين...؟ فهذه لغة العرب. قد يقول الإنسان الشمس في وجهي أمامي، أو القمر في وجهي أو أمامي، والشمس والقمر في السماء، فلا منافاة بين المعنيين ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى.

(وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك ولله المثل الأعلى؛ ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مُخليًا به**» فقال له أبو رُزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ: «**سأنبئك بِمثل ذلك في آلاء الله هذا القمر كلكم يراه مُخليًا به وهو آية من آيات الله عزّ وجلّ فالله أكبر**» أو كما قال ﷺ.

وقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**» فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابهًا للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلًا.

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد.)

هذا مذهب المفوضة الذين يقولون مذهب السلف التفويض.

(وهذا لفظ مجمل، فإن قوله: (ظاهرها غير مراد) ...)

سبحان الله! ابن تيمية -رحمه الله- دائمًا يعتني بتحقيق المصطلحات وبتحقيق الألفاظ، فالألفاظ المجملة لا بد من الاستفصال عنها، قالوا:(ظاهرها غير مراد) ما المقصود بالظاهر؟ لأن هذه الكلمة تحتمل حقًّا وتحتمل باطلًا، كما سيبين الشيخ -رحمه الله-، وهكذا دائمًا الشيخ يعتني بهذا الأمر.

(يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون الله «قِبَل وجه المصلي» أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن «الله معنا» ظاهره أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال: إن مذهب السلف: أن هذا غير مراد، فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ في إطلاق القول بأن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا هو المحال ليس هو الأظهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع.

اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار، معذورًا في هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية.

وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر: أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون أعطى كلام الله وكلام رسوله حقًّا ولفظًا ومعنى.

وإن كان الناقل عن السلف أراد -بقوله الظاهر غير مراد عندهم- أن المعاني التي ظهرت من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين، بل هي واجبة لله تعالى، أو جائزة عليه جوازًا ذهنيًّا، أو جوازًا خارجيًّا: غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط

أن ينقل عن أحدٍ من السلف ما يدل -لا نصًّا ولا ظاهرًا- أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع وبصر ويد حقيقة.

وقد رأيت هذا المعنى ينتحِله بعض من يحكيه عن السلف، ويقول: إن طريقة أهل التأويل هي -في الحقيقة- طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه؛ ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا أن المصلحة تأويلها لِمَسيسِ الحاجة إلى ذلك. ويقول: الفرق أن هؤلاء يُعَيِّنون المراد بالتأويل، وأولئك لا يُعَيِّنون لجواز أن يراد غيره.

وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف: أما في كثير من الصفات فقطعًا، مثل أن الله فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم -الذي لم يُحْكَ هنا عُشْرُهُ- عَلِمَ بالاضطرار أن القوم كانوا مُصرِّحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قطُّ، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

والله يعلم أني بعد البحث التام، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل -لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولا بالقرائن- على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر.)

يعني: ليس مذهب السلف لا التفويض ولا التأويل أبدًا. نحن قرأنا كثير من الآثار وكلام السلف ليس هذا طريقةً لهم.

(بل الذي رأيته أن كثيرًا من كلامهم يدل -إما نصًّا وإما ظاهرًا- على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة؛ بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة.

وما رأيت أحدًا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبِّهون الله بخلقه، مع إنكارهم على من نفى الصفات أيضًا؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري-: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا).)

الآن كلام نعيم بن حماد فيه رد على المشبهة ورد على المعطلة، وجملته الأخيرة فيها أن إثبات الصفات ليس تشبيهًا، ما وصف الله عز وجل به نفسه ليس فيه تشبيه ولا يقتضي التشبيه، هذا اختصار للموضوع كله.

(وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: هذا جهمي مُعَطِّل؛ وهذا كثير جدًّا في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا -كذبًا منهم وافتراء- حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه بذلك، حتى قال ثُمَامة بن أَشْرَسَ -من رؤساء الجهمية-: (ثلاثةٌ من الأنبياء مشبهة:

موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾.

وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾

ومحمدٌ ﷺ حيث قال: «**ينزل ربنا**»

وحتى أن جُلَّ المعتزلة تُدْخِلُ عامة الأئمة مثل: مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم، في قسم المشبهة.

وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن دِرْباس الشافعي جزءًا سماه: "تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة" وذكر فيه كلام السلف وغيرهم من معاني هذه الألقاب...)

هذه ألقاب يطلقها أهل البدع على الأئمة تنفيرًا لطريقة السلف ولطريقة أهل السنة، فهذه ألقاب تنفيرية، وهي ألقاب باطلة ليست من أسماء ولا ألقاب أهل السنة، يلقبون: أهل السنة، أهل الحديث، أهل الأثر، أهل السنة والجماعة... أما هذا الألقاب فهي ألقاب باطلة.

(وذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذه الألقاب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقِّب أهل السنة بلقبٍ افتراه يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتَرَوْها.

فالروافض تسميهم: نَوَاصِب.

والقدرية تسميهم: مُجَبِّرَة.

والمرجئة تسميهم: شُكَّاكًا.

والجهمية تسميهم: مُشَبِّهَة.

وأهل الكلام يسمونهم: حَشَوِيَّةً، ونَوَابِتَ، وغُثَاءً وغُثْرًا، إلى أمثال ذلك.)

لأنهم ليس عندهم حجة فقط هذه الألقاب، ما استطاعوا أن يحتجوا على الأئمة بشيء.

(كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ: تارة مجنونًا، وتارة ساحرًا، وتارة كاهنًا، وتارة مفتريًا.)

وما ضر النبي ﷺ هذه الألقاب أبدًا، وكذلك هؤلاء الأئمة لا يضرهم هذه الألقاب.

(قالوا: وهذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ اعتقادًا واقتصادًا وقولًا وعملًا؛ فكما أن المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها بناءً على عقيدتهم الفاسدة- فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات، باطنًا وظاهرًا.

أما الذين وافقوا ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، والذين وافقوه ظاهرًا وباطنًا بحسب الإمكان: لا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصًا يذمونهم به، ويسمونهم بأسماء مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها-.

كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر وعمر، فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيًّا، بناءً على هذه الملازمة الباطلة، التي اعتقدوها صحيحة، أو عاندوا فيها وهو الغالب.

وكقول القَدَرِي: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد، فقد سلب العباد الاختيار والقدرة، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجَهْمِي: من قال: إن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب محدود، وأنه مشابه لخلقه.

وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال: أن لله علمًا وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب، وهو مشبه؛ لأن هذه الصفات أعراض: والعَرَضُ لا يقوم إلا بجوهرٍ متحيز. وكلُّ متحيزٍ جسمٌ مركبٌ، أو جوهرٌ فَرْدٌ.)

هذه كلها مصطلحات فلسفية.

(ومن قال ذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.

ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناءً على عقيدتهم التي هم مخالفون له فيها، فهو وربه أعلم، والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.)

الآن سيذكر مذاهب الناس ومواقف الناس من نصوص الصفات وهي ست مواقف أو ست مذاهب.

(«قسمان» يقولان: تُجرى على ظواهرها.

«وقسمان» يقولان: هي على خلاف ظاهرها.

«وقسمان» يسكتون.)

- باختصار الذين قالوا تجرى على ظاهرها: السلف ومذهبهم مذهب حق بلا شك، والممثلة ومذهبهم باطل.
- والقسمان الذين قالوا على خلاف الظاهر: المؤولة والمفوضة وعرفناهم.
- والذين يسكتون هؤلاء الواقفة وهو مذهب باطل أيضًا؛ لأنهم لم يثبتوا الصفات.

وسيفصل الشيخ هذه المذاهب.

(أما الأولان: فقسمان:

أحدهما: من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليهم توجه الرد بالحق.

والثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى، كما يُجْرى ظاهر اسم: (العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات)، ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله.

فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين: إما جوهر محدث. وإما عرض قائم به.

فالعلم، والقدرة، والكلام، والمشيئة، والرحمة، والرضا، والغضب، ونحو ذلك: في حق العبد أعراض.

والوجه، واليد، والعين: في حقه أجسام.

فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرة وكلامًا ومشيئة -وإن لم يكن ذلك عرضًا، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين- جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجسامًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.

وهذا هو المذهب الذي حكاه "الخطابي" وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم.)

قد تقدم معنا –تذكرون- مذهب الإمام الخطابي، قرر في مذهب السلف وقرر في قاعدة: أن القول في الصفات فرعٌ عن القول بالذات.

(وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الرب ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المَعهودَيْن.

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب -الذي ليس كمثله شيء- إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه.

وما أحسَنَ ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى، أم كيف ينزل إلى السماء الدنيا، وكيف يداه ونحو ذلك؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟)

يعني: كيف هو ذاته.

(فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري غير معلوم للبشر.

فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تُعْلَمَ بكيفية صفةٌ لموصوفٍ لم تُعْلَمَ كيفيته؟!

وإنما تُعْلَمَ الذات والصفات من حيث الجملة، وعلى الوجه الذي ينبغي لك.)

وهذا مثال دائمًا يذكره أهل العلم، الله عز وجل ذكر نعيم الجنة، ذكر أن في الجنة أنهار، ذكر في الجنة أشجار، وبيوت ونحو ذلك؛ لكن قال في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر**».

وقال ابن عباس: (ليس مما هو في الدنيا مما هو في الجنة إلا الأسماء أما الحقائق مختلفة)، إذا كان هذا في المخلوقات فمن باب أولى في صفات الله تبارك وتعالى.

(بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء)، وقد أخبر الله تعالى: أنه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾

وأخبر النبي ﷺ: «**أن في الجنة ما لا عين رأتْ، ولا أُذن سمعت، ولا خَطَر على قلب بَشَر**».

فإذا كان نعيم الجنة -وهو خلقٌ من خلق الله تعالى- كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى.)

وهذا مثال آخر، هذا المثال: نعيم الجنة ومثال: الروح.

(وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟

مع أنَّا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تُسَلُّ منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة.

لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته.

فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون عنده الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطأوا في اللفظ، وأنَّى لهم بذلك؟!)

الفلاسفة وغيرهم خاضوا في الروح، وفي الحقيقة الروح يقال فيها ما قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

فجميع الخلق يتفقون على أن هناك روح، كل حي فيه روح لكن ما حقيقة الروح؟! لا يعرف أحد!

هذا إذا كان فيه حقيقة مخلوق من المخلوقات فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟!

(ولا نقول إنها مجرد جزء من أجزاء البدن كالدم والبخار مثلًا، أو صفة من صفات البدن والحياة، وأنها مجانسة للأجساد، ومساوية لسائر الأجساد في الحدِّ والحقيقة، كما يقول طوائف من أهل الكلام؛ بل نتيقن أن الروح عين موجودة غير البدن، وأنها ليست مماثلة له، وهي موصوفة بسائر ما نطقت به النصوص حقيقةً لا مجازًا.

فإذا كان مذهبنا في حقيقة الروح وصفاتها بين المعطلة والممثلة، فكيف الظن بصفات رب العالمين؟!

وأما «القسمان» اللذان ينفيان ظاهرها؛ أعني: الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبٌ وإما إضافة وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة، أو الثمانية أو الخمس عشرة.

أو يثبتون الأحوال دون الصفات، أو يُقرّون الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث على ما قد عُرف من مذاهب المتكلمين. فهؤلاء قسمان:

قسمٌ يتأولونها ويعيِّنون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى عُلوِّ المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين.

وقسمٌ يقولون: الله أعلم بما أراد بها؛ لكنا نعلم أنه لم يُرِد إثبات صفة خارجة عما علمنا.

وأما القسمان الواقفان:

فقسمٌ يقولون: يجوز أن يكون المراد ظاهرها اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقوم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام كلها الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسمٍ منها.

الصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها، القطعُ بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه، وتُعْلَمُ طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة

والإجماع على ذلك دلالةً لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض.

وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدعُ بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي يقول: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»

وفي رواية لأبي داود: «**كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك**»

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى.

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرف غالب ما يزعمونه برهانًا وهو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه:

يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها.

أو شبهة مركبة من قياس فاسد.

أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية.

أو دعوى إجماع لا حقيقة له.

أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.

ثم إن ذلك إذا رُكِّب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عند من لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغِرَّ ما يوهمه السراب للعطشان، ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضِدَّ يُظهِر حُسْنَه الضدُّ، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرَفَ إذا هُديَ إليه.

فأما المتوسط من المتكلمين، فيُخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه هو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قَبِلَهُ، وأما المتوسط فمُتَوَهِّمٌ بما تلقَّاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لمعظِّمه وتهويلًا.

وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في ﴿قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يعلم الذكي منهم العاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بِبَيِّنة، وإنما هي كما قيل فيها:

حججٌ تهافتُ كالزجاج تخالها ... حقًّا وكلٌّ كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجهٍ مستحقون ما قاله الشافعي -رضي الله عنه- حيث قال: (حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام).

ومن وجهٍ آخر: إذا نظرت إليهم بعين القدر -والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم- رحمتَهم ورفقتَ عليهم:

أُوتُوا ذكاءً وما أُوتوا زكاءً، وأُعطوا فُهومًا وما أُعْطُوا علومًا، وأُعطوا أسماعًا وأبصارًا وأفئدة: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

ومن كان عليمًا بهذه الأمور تَبَيَّنَ له بذلك: حِذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذَّروا عن الكلام ونَهَوْا عنه، وذمُّوا أهله وعابوهم. وعَلِمَ أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعدًا.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.)

وبهذا تمت الحموية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والله اعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

